مختارات ولطائف

الجزء الأول

عبد الملك القاسم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فلا يزال الكتاب أفضل مؤنس وخير جليس، على رغم انتشار الملهيات ووسائل الإعلام الجذابة.

ورغبة في تنوع مواضيع القراءة وجعلها سهلة ميسورة جمعت هذه المتفرقات؛ فتغني عن مجالس السوء، وتشغل أوقات الفراغ بما يفيد.

تقرأ في السفر والحضر وفي المنازل وبين الأصحاب، وينال منها الشباب الحظ الأوفر حيث التنوع والاختصار.

أسأل الله ـــ عز وجل ـــ التوفيق والسداد.

كرم الصحبة...!!

* حدث من حضر مجلس المأمون وقد أمر بإحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد، فلما حضر قال: يا عباس خذ هذا إليك واستوثق منه ولا يفوتنك وبكر به واحذر كل الحذر.

قال العباس: فدعوت جماعة حملوه و لم يقدر أن يتحرك، فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب أن يكون معي إلا في بيتي، ثم سألته عن قصته وحاله من أين هو، فقال: من دمشق، فقلت: جزى الله دمشق وأهلها خيرًا، فمن أنت من أهلها؟ قال: لا تزيد أن تسألني، فقلت له: أتعرف فلانا؟ فقال: ومن أين عرفت ذلك الرجل؟ فقلت: كانت لي قصة معه، فقال: ما أنا بمعرفك خبره أو تعرفني قصتك، فقلت: ويحك! كنت مع بعض الولاة بها فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وجميع أصحابه وهربت فيمن هرب، فإني لفي بعض الطريق إذا جماعة يعدون خلفي، فما زلت أغالبهم وأجالدهم حتى مررت على هذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت: أغثني أغاثك الله! فقال: لا باس عليك ادخل الدار، فدخلت، فقالت لي امرأته: ادخل الحجلة فدخلتها، ـــ الحجلة: غرفة تعد للعروس في جوف البيت ـــ وأتت الرجال خلفي فما شعرت إلا به وهم معه يقولون: هو والله عندك! فقال: دونكم الدار، ففتشوها حتى لم يبق إلا البيت الذي كنت فيه، فقالوا: ها هنا، فصاحت المرأة وانتهرتهم، فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم في الحجلة خائفا، فقالت المرأة: اجلس لا بأس عليك، فجلست، فلم ألبث أن دخل الرجل وقال: لا تخف فقد صرت

إلى الأمن والدعة إن شاء الله تعالى، فقلت له: جزاك الله عني خيرا! ثم ما زال يعاشرني في أحسن المعاشرة وأجملها ولا يفتر من القصف والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر عليَّ أن سكنت الفتنة وهدأت، فقلت له: أتأذن لي في الخروج لأتعرف خبر غلماني ومترلي فلعلي أن أقف لهم على أثر أو خبر، فأخذ عليَّ المواثيق بالرجوع إليه، فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثرًا فرجعت إليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا مخاطبتي بغير الكنية، ثم قال لي: ما تعزم؟ فقلت: قد عزمت على الشخوص إلى بغداد فإن قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام وقد تفضلت عليَّ هذه المدة فأسألك أن تعطيني ما أنفقه في طريقي وما ألبسه، فقال: بصنع الله ـــ عز وجل ـــ ثم قال لغلام له أسود: انعل الفرس الفلاني، وتقدم إلى من في مترله بإعداد السفر، فقلت في نفسي: ما أشك إلا أنه يخرج إلى ضيعة له أو ناحية من النواحي، فوقعوا يومهم ذلك في تعب وكد، فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر، وقال: يا أبا فلان قم فإن القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها فقلت في نفسي: ما أعطاني شيئًا مما سألته، ثم قمت فإذا هو وامرأته يحملان إليَّ حفاتين – ثياب- مقطوعة جُددًا ورانات – حذاء- وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم البغل فحمل عليه الصناديق وفوقها مفرشان ودفع إلي نسخة بما في الصناديق وفيها خمسة آلاف درهم وقدم إلي الفرس الذي كان أنعله بسرجه ولجامه وقال لي: اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك، وأقبل هو وامرأته يعتذران من تقصيرهما في أمري، وركب معي فشيعني، وانصرفت إلى بغداد وأنا على مكافأته ومجازاته فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشغل بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان إلى مكان. فلما سمع الرجل الحديث

قال: قد أتاك الله ـــ عز وجل ـــ بمن تريد مكافأته بلا مؤونـــة عليك، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: أنا والله ذلك الرجل! ثم قال لي: مـــا أثبتك! فتعرف إلي وأقبل يذكرني بأشياء يتعرف بها إلي حتى أثبته وعرفته فما تمالكت أن قمت إليه فقبلت رأسه! وقلت له: ما الذي أصـــارك إلى هذا؟ فقال: هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت إليَّ وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وحملت إليه وأمري عنـــده غليظ جدا وهو قاتلي لا محالة، وقد خرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من عبيدي من ينصرف إلى منزلي بخبري وهو نازل عند فلان، فإن رأيت أن تنعم وتبعث إليه حتى يحضر فأتقدم إليه بما أريد، فإذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي. قال فقال العباس: بصنع الله، ثم قال: علي بحدادين، فأتوا بهم، فحل قيوده وما كان عليه من أنواع الأنكـــال، ودعا بالحجام فأحضر وخذ من شعره ثم قال: علي بمولاه، فأنفذ في طلبه من يحضره. قال الرجل: فلما أن أخذ شعري أدخلني إلى الحمام فطـــرح علي من ثيابه ما اكتفيت به ثم حضر مولاي وقعد يبكي، فقال العبـــاس: علي بفرسي الفلاني والبغل الفلاني، حتى عد عشرا، ثم قال: علـــي مـــن الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر لي ببدرة فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت له: إن أمري غلـــيظ وإن أنـــت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل، فقال: انج بنفسك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح مـــن بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتجت إلى حضوري حضرت!! فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في موضع كـــذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسبيل المحبة

وإن قتلت كنت قد وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئا قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من بغداد. قال الرجل: فأخذني صاحب الشرطة فصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه واغتسل وتحنط وتكفن. قال العباس: فلم أفرغ من ذلك حتى وافتني رسل المأمون في السحر وقالوا: أمير المؤمنين يقول هات الرجل، فسكت وأتيت الدار وإذا أمير المؤمنين جالس عليه ثيابه أمام فراشه، فقال: الرجل! فسكت، فقال: ويحك الرجل! فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مني، فقال: أعطي الله عهدًا لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك! فقلت: لا والله ما هرب، فاسمع مني حديثي وحديثه ثم أنت أعلم بما تفعله في أمرنا، قال: قل، فقلت: يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا، وقصصت عليه القصة وعرفته أني كنت أريد مكافأته فشغلت عن ذلك حتى إذا كان البارحة عرفته وعبرت به جسر الأنبار وقلت: أنا من سيدي أمير المؤمنين بين أمرين، إما يصفح عني وإما قتلني وأكون قد كافيته ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه!! فلما سمع المأمون الحديث قال: ويحك! لا جزاك الله خيرا عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحر، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة بهذا! لم لا عرفتني خبره فكنت أكافيه عنك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه والله ها هنا قد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتيج إلى حضوره حضر، قال: وهذه والله منه أعظم من الأولى، فاذهب إليه الآن وطيب نفسه وسكن روعه وتعبر به إليَّ حتى أتولى مكافأته عنك، فصرت إليه وقلت: ليسكن روعك إن أمير المؤمنين قال: كيت وكيت، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء غيره، ثم تهيأ للصلاة فصلى ركعتين ثم جئنا فلما مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه

وآنسه وحدثه حتى حضر الغداء، ثم قال: الطعام، فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفاه، ثم قال المأمون علي بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة بغال بجميع آلتها وبعشر بدر وبعشرة تخوت وعشرة مماليك بذواتهم وجميع آلتهم، فدفع ذلك إليه، وكتب إلى عامله بالوصاية عليه وأوغر ـــ وضع الخراج عن أرضه ـــ خراجه وكتب إلى صاحب البريد أن تنفذ كتبه وصرفه إلى بلده. قال العباس: فكان إذا ورد له كتاب في خريطة يقول لي المأمون: يا عباس هذا كتاب صديقك!!.

***

الدعاء غير مستجاب...!!

* دخل أزهر السمان على المنصور فشكا إليه الحاجة وسوء الحال، فأمر له بألف درهم وقال: يا أزهر لا تأتنا في حاجة أبدا. قال: أفعل يا أمير المؤمنين. فلما كان بعد قليل عاد فقال له: يا أزهر ما حاجتك؟ قال: جئت لأدعو لأمير المؤمنين!! قال: بل أتيتنا لمثل ما أتيت. فأمر له بألف درهم وقال: يا أهزر لا تأتنا ثالثة فلا حاجة لنا في دعائك. قال: نعم، ثم لم يلبث أن عاد، فقال: يا أزهر ما جاء بك؟ قال: دعاء كنت سمعته منك أحب أن آخذه عنك!! فقال: لا ترده فإنه غير مستجاب وقد دعوت به الله ـــ عز وجل ـــ أن يريحني من خلقتك فلم يفعل...!!

***

حسن الأدب...!!

* دخل الاصمعي على الرشيد بعد غيبة كانت منه، فقال له: يا أصمعي كيف كنت بعدنا؟ فقال: ما لاقتني بعدك أرض، فتبسم الرشيد. فلما خرج الناس قال: يا أصمعي ما معنى قولك ما لاقتني أرض؟ فقال: ما استقرت

بي أرض، فقال: هذا حسن، ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوت فعلمني، فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالمًا؛ لأنه لا يخلو إما أن أسكت أو أجيب فإذا سكت فيعلم الناس أني لا أعلم إذا لم أجب بغير الجواب فيعلم من جوابي أني لم أفهم ما قلت. قال الأصمعي: فعلمني أكثر مما علمته!!

***

ما أنصفناك...!!

* رأى عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ في السوق شيخًا كبيرًا يسأل الناس الصدقة فقال له: ما أنت يا شيخ؟ قال: أنا شيخ كبير أسأل الجزية والنفقة، وكان يهوديا من سكان المدينة. فقال عمر له: ما أنصفناك يا شيخ. أخذنا منك الجزية شابا ثم ضيعناك شيخًا!! وأخذ بيده إلى بيته فرضخ له ما كان من طعامه. ثم أرسل إلى خازن بيت المال يقول: أفرض لهذا وأمثاله في بيت المال ما يغنيه ويعني عياله!

***

القاضي أبو يوسف ... يوجه نصائح للخليفة....

* طلب هارون الرشيد من أبي يوسف قاضي القضاة أن يؤلف له كتابًا في أصول جباية الأموال ونظام الضرائب العامة... فوضع أبو يوسف كتابه (الخراج) تلبية لطلب الخليفة، وجاء في مقدمة الكتاب:

يا أمير المؤمنين: إن الله ــ ولله الحمد ــ قد قلدك أمرًا عظيمًا، ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب، قلدك أمر هذه الأمة، فأصبحت وأمسيت، وأنت تبني لخلق كثير، قد استرعاكهم الله وأتمنك عليهم، وابتلاك بهم، وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى، أن يأتيه الله

من القواعد، فيهدمه الله على من بناه وأعان عليه، فلا تضيعن ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة في العمل بإذن الله، لا تؤخر عمل اليوم إلى غد، فإنك إذا فعلت ذلك أضعت، إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل.

إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة، راع سعدت به رعيته، ولا تزغ فتزيغ رعيتك، وإياك والأمر بالهوى، والأخذ بالغضب، وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء... القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم، واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان، واتق الله فإنما التقوى بالتوقي، ومن يتق الله يقه.. وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله، ورعاية ما استرعاك الله، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله!! ثم ختم أبو يوسف هذه المقدمة بقوله: وإني لأرجو إن عملت بما في هذا الكتاب من بيان، أن يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهد، ويصلح لك رعيتك ، فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم، ورفع الظلم عنهم، وبالتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم... !!

***

الخليفة الراشد فاروق هذه الأمة ...!!

* خرج عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ ليلة من الليالي يتفقد أحوال الرعية فمر برحبة من رحاب المدينة فإذا ببيت شعر ينبعث منه أنين امرأة وعلى بابه رجل قاعد، فسلم عليه عمر وسأله من هو؟ فأجابه بأنه رجل من البادية جاء يصيب من فضل أمير المؤمنين، فقال عمر: ما هذا الصوت الذي

أسمعه في البيت؟ قال الرجل، وهو لا يدري أنـه عمـر أمـير المؤمنين: انطلق رحمك الله لحاجتك ولا تسأل عما لا يعنيك، فألح عليـه عمر يريد معرفة الأمر فأجابه: امرأة تمخض ــ أي على وشك الولادة ــ وليس عندها أحد، فعاد عمر إلى مترله وقال لامرأته أم كلثوم بنت علـي -رضي الله عنه-: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ قالت: ومـا هـو؟ فأخبرها الخبر وأمرها أن نأخذ معها ما يحتاج إليه الوليد الجديد من ثياب وما تحتاج إليه المرأة من دهن، وأن تأخذ معها قدرا وتضع فيـه حبوبـا وسمنا. فجاءت به فحمل القدر ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت وقال لامرأته ادخلي إلى المرأة وجلس هو مع الرجل وأوقد النار وطبخ ما جاء به والرجل جالس لا يعلم من هو! وولدت المرأة فقالت زوجة عمر مـن داخل البيت: بشر يا أمير المؤمنين صاحبك بغلام!! فلما سمـع الأعـرابي ذلك علم أنه مع أمير المؤمنين، فكأنه هابه، فأخذ يبتعد عنه! وعمر يقول له: مكانك كما أنت، ثم حمل القدر وأمر زوجته أن تأخذه لتطعم المرأة، فلما أكلت ناول الرجل القدر وقال: كل ويحك فإنك سـهرت الليـل كله... ثم خرجت زوجته وقال للرجل: إذا كان غدا فأتنا نأمر لك بمـا يصلحك، فلما أصبح أتاه ففرض لابنه في الذرية وأعطاه... !

***

ما من دابة إلا على الله رزقها...

* يحكى أن ابن بابشاذ النحوي كان يوما في سطح جامع مصر، وهو يأكل شيئا وعنده ناس، فحضرهم قط، فرموا له لقمة، فأخـذها في فيه، وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئا آخر، ففعل كذلك، وتردد مرارا كثيرة، وهم يرمون له، وهو يأخذه ويغيب به، ثم يعود من فوره، حتى

عجبوا منه، وعملوا أن مثل هذا الطعام لايأكله وحده لكثرتـــه، فلما استرابوا حاله تبعوه فوجدوه يراقى إلى حائط في سطح الجـــامع، ثم يترل إلى موضع خال صورة بيت خراب، وفيه قط آخر أعمى، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه، وهـــو يأكلـــه، فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن بابشاذ: إذا كان هذا حيوانا أخرس قد سخر الله ــ سبحانه وتعالى ــ له هذا القط، وهو يقـــوم بكفايتـــه، و لم يحرمه الرزق، فكيف يضيع مثلي [١].

***

الوزير المطلوب...

* حكي أن المأمون ــ رحمه الله ــ كتب في اختيار الوزير:

إني التمست لأموري رجلاً جامعًا لخـــصال الخـــير ذا عفـــة في خلائقه، واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يـــسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة، له صولة الأمـــراء، وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أحسن إليه، شـــكر، وإن ابتلي بالإساءة، صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غـــده، ويـــسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه. اهـ [٢].

وقد جمع بعض الشعراء هذه الأوصاف فأوجزها، ووصف بعض وزراء الدولة العباسية بها، فقال:

بديهتـــــه وفكرتـــــه ســـــواء
إذا اشـــتبهت علـــى النـــاس الأمـــور

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢/٥١٦.
(٢) الأحكام السلطانية، للماوردي ص ٢٢. #

وأحـــزم مـــا يكـــون الـــدهر يومـــا
إذا أعيـــــا المـــــشاور والمـــــشير
وصـــــدر فيـــــه للـــــهم اتـــساع
إذا ضـــاقت مـــن الهـــم الـــصدور

***

عليك بخويصة نفسك....

* بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش: أن اكتب لي مناقب عثان ومساوئ علي ــ رضي الله عنهما..

فأخذ الأعمش القرطاس وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان ــ رضي الله عنه ــ مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعلي ــ رضي الله عنه ــ مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك، والسلام [(١)].

***

البحر.....

* كان معاوية يلح على عمر بن الخطاب في غزو قبرص، وركوب البحر لها، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن صف لي البحر وراكبه، فكتب إليه:

إني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، إن ركد؛ حرق القلوب، وإن تحرك أراع العقول، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة، وهم فيه كدود على عود، إن مال؛ غرق، وإن نجا؛ فرق.

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢/٤٠٣. #

فلما قرأ عمر الكتاب، كتب إلى معاوية:

والله لا أحمل فيه مسلما أبدا [(١)].

***

من أخلاق المسلمين...

* قدمت منهزمة الروم على هرقل ــ وهو بأنطاكيــة ــ فــدعا رجالا من عظمائهم، فقال: ويحكم! أخبروني، ما هؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليس بشرا مثلكم؟

قالوا: بلى ــ يعني العرب المسلمين..

قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن.

قال: ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟

فسكتوا، فقال شيخ منهم:

أنا أخبرك أيها الملك، من أين تؤتون.

قال: أخبرني.

قال: إذا حملنا عليهم، صبروا، وإذا حملوا علينا، صدقوا ونحمــل عليهم، فنكذب، ويحملون علينا، فلا نصبر.

قال: ويلكم فما بالكم كما تصفون، وهم كما تزعمون؟

قال الشيخ: ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا.

قال له: من أين هذا؟

قال: لأن القوم يصومون بالنهار، ويقومون بالليل، ويوفون بالعهــد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يظلمون ً، ويتناصفون

---

(١) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص١٥٥. #

بينهم، ومن أجل أنَّا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض.

قال: صدقتني، والله لأخرجن من هذه القرية، فما لي في صحبتكم خير وأنتم هكذا.

قالوا: نشهدك الله -أيها الملك- تدع سورية وهي جنة الدنيا وحولك من الروم عدد الحصى والتراب ونجوم السماء، ولم يؤت عليهم[١].

***

فضل الجماعة...

* دعا يزيد بن المهلب ولده حبيبا ومن حضر من ولده، ودعا بسهام فحزمت، وقال: أفترونكم كاسريها مجتمعة؟

فقالوا: لا.

قال: أفترونكم كاسريها مفترقة؟

قالوا: نعم.

قال: هكذا الجماعة [٢].

***

معرفة الناس....

قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن فلانا رجل صدق.

قال: سافرت معه؟

قال: لا.

قال: فكانت بينك وبينه خصومة؟

---

(١) عيون الأخيار، لابن قتيبة ١٢٦/١.

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٢٨٨/٦. #

قال: لا.

قال: فهل ائتمنته على شيء؟

قال: لا.

قال: فأنت الذي لا علم لك به، أراك رأيته يرفع رأسه، ويخفضه في المسجد [(١)].

***

المساجد...

* عن عمير بن المأمون، قال: سمعت الحسن بن علي يقول: من أدام الاختلاف إلى المساجد أصاب ثماني خصال:

آية محكمة، وأخا مستفادا، وعلما مستطرفا، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على هدى أو تردعه عن ردي، وترك الذنوب حياء أو خشية[(٢)].

***

سوق الآخرة...

* رأى عطاء بن يسار رجلاً يبيع في المساجد، فدعاه، فقال: هذه سوق الآخرة، فإن أردت البيع؛ فاخرج إلى سوق الدنيا [(٣)].

***

التشوق إلى الجنة والعمل لها...

* قال رجاء بن حيوة: أمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتري له ثوبا بستة دراهم، فأتيته به فجسه.

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١٥٨/٣.

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٣/٣.

(٣) الورع، للإمام أحمد بن حنبل ص٣٤. #

وقال: هو على ما أحب لولا أن فيه لينا.

قال: فبكيت.

وقال: فما يبكيك.

قال: أتيتك، وأنت أمير، بثوب بستمائة درهم، فجسسته، وقلت: هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة، وأتيتك، وأنت أمير المؤمنين، بثوب بستة دراهم، فجسسته، وقلت: هو على ما أحب لولا أن فيه لينا.

فقال: يا رجاء، إن لي نفسًا تواقة، تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، وتاقت إلى الإمارة فوليتها، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها، وقد تاقت إلى الجنة، فأرجو أن أدركها، إن شاء الله ـ عز وجل ـ [(١)].

***

أصناف أهل الجنة...

* روى ابن أبي حاتم بإسناده، عن بعض أصحاب معاذ بن جبل، قال: يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف:

المتقين، ثم الشاكرين، ثم الخالفين، ثم أصحاب اليمين.

قيل: لم سموا أصحاب اليمين.

قال: لأنهم عملوا الحسنات والسيئات، فأعطوا كتبهم بأيمانهم فقرءوا سيئاتهم حرفًا حرفًا، قالوا: يا ربنا هذه سيئاتنا فأين حسناتنا؟

فعند لك محا الله السيئات، وجعلها حسنات، فعند ذلك قالوا: ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾ (الحاقة: ١٩) فهم أكثر أهل الجنة [(٢)].

***

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٣٠١/٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٢٠٢/٢. #

الرد على القول بخلق القرآن...

* قال ابن عطية: من الدليل على أن القرآن غير مخلوق: أن الله ــ تعالى ــ ذكر القرآن في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعا ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه، وذكر الإنسان على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعا، كلها نصت على خلقه. وقد افترق ذكرهما على هذا في قوله تعالى: **﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾** (الرحمن: ١ – ٣) [(١)].

***

الصفقة الرابحة...

* اجتمع رأي الصليبيين بقيادة امبراطور ألمانيا على غزو دمشق، وكان يدير أمرها معين الدين أنر أحد مماليك طغتكين، ولما حاصر الصليبيون المدينة خرج أميرها بجيشه لقتالهم، فخرج معه الإمام يوسف الفندلاوي والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحول صاحب الحكم المأثورة، وحين استأذنا معين الدين في الجهاد؛ قال لهما: نحن نكفيكما.

فقالا له: قد بعنا واشترى.

إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** (التوبة: ١١١).

ثم قاتلا حتى قتلا في مكان واحد، فأذكى ذلك الشجاعة في نفوس المسلمين، وهجموا على الفرنجة هجمة رجل واحد حتى اضطروهم إلى الرحيل عن دمشق.

***

---

(١) حياة الحيوان الكبرى. للدميري ١/٤٩. #

أولئك القوم...!

* عندما فتحت مدائن كسرى على المسلمين، وتوغل العرب في أرض العجم، أرسل ملكهم (يزدجرد) رسولا إلى ملك الصين يستنجد به على العرب، ومن عادة الملوك أهم ينجد بعضهم بعضا عند الأزمات، ولما عاد الرسول عاد مثقلا بالهدايا من قبل ملك الصين، وقال ليزدجرد: لقد سألني عن القوم الذين غلبونا على بلادنا، وقال: إنك تذكر قلة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصفهم منكم فيما أسمع من كثرتكم إلا بخير عندهم وشر فيكم.

فقلت: سلني عما أحببت إن شئت.

فقال: أيوفون بالعهد إذا عاهدوا؟

قلت: نعم.

قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟

قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث:

إما أن نتبع دينهم، فإن أجبنا أجرونا مجراهم، لنا ما لهم وعلينا ما عليهم. أو الجزية، والمنعة أو المنابذة.

قال: كيف طاعتهم أمراءهم؟

قلت: أطوع قوم لمرشدهم.

قال: فما يحلون وما يحرمون؟

فأخبرته: أهم يحرمون الخبائث والفواحش والأضاليل وكل منكر وشر.

فقال: أيحرمون ما يحلون أو يحلون ما يحرمون؟

قلت: لا، فهم يؤمنون بأن شريعتهم ثابتة خالدة بكتابهم المترل الذي يعتقدون

أنه في حفظ الله له أثبت من الأرض وأبقى من السماء، وقاعدتهم أن لا طاعة لمخلوق بمعصية الخالق.

قال: فإن هؤلاء يهلكون أبدا حتى يحلوا حرامهم، فيصبح الشر عندهم خيرا، ويحرموا حلالهم، فتصبح الفضيلة عندهم رذيلة.

فأخبرته: إنهم يقولون: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

فقال: أخبرني عن مطاياهم.

فقال: العقل والمشورة، وحكمتهم الماثورة: أن من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل.

قال: ما الذي وصل إلى علمكم من معاملتهم؟

قال: يتقيدون بما أمرهم به رسلوهم، وهو أن أحدهم لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق وإن لم يشهد عليه، ولا يغلبه الشح عن معروف يريده.

فكتب ملك الصين مع الرسول إلى يزدجرد:

إنه لم يمنعني شيء أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين، ولكن هؤلاء القوم الذين وصفهم لي رسولك لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلا لهم سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف، فسلمهم وارض منهم بالمساكنة، ولا تهجهم ما لم يهيجوك [(١)].

***

جاء الفرج بولاية العراق...

* ذكر أبو الحسن المدائني في كتابه (الفرج بعد الشدة): أن خالد بن عبد الله القسري، أصابته ضائقة شديدة، فبينما هو ذات يوم في مترله، إذ أتاه

(١) انظر حياة الصحابة: ٤/٦٤٨. #

رسول ابن هشام بن عبد اللك يدعوه لولاية العراق، فتلوم فاستحثه الرسول.

فقال له خالد: رويدًا حتى يجف قميصي، وقد كان غسله قبل موافاة الرسول، ولم يكن بقي له غيره.

فقال له الرسول: يا هذا، أسرع في الإجابة، فإنك تدعى إلى قمصان كثيرة.

فجاء إلى هشام، فولاه العراق.

***

وإذا سألت فاسأل الله...

* قال القاضي حسين: كنت عند القفال، فأتاه رجل قروي، وشكا إليه أن حماره أخذه بعض أصحاب السلطان، فقال له القفال:

اذهب فاغتسل، وادخل المسجد، وصل ركعتين، واسأل الله ــ تعالى ــ : أن يرد عليك حمارك.

فأعاد عليه القروي كلامه، فأعاد القفال، فذهب القروي، ففعل ما أمره به، وكان القفال قد بعث من يرد حماره، فلما فرغ من صلاته، رد الحمار، فلما رآه على باب المسجد؛ خرج، وقال: الحمد لله الذي رد علي حماري فلما انصرف؛ سئل القفال عن ذلك، فقال: أردت أن أحفظ عليه دينه كي يحمد الله ــ تعالى ــ [١].

***

دعاء الصالحين...

* كان إبراهيم بن أدهم في البحر، وهبت ريح، واضطربت السفن، وبكى الناس، فقيل لبعضهم: هذا إبراهيم بن أدهم، لو سألته أن يدعو الله.

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ٥/٥٥. #

وكان قائما في ناحية من السفينة، ملفوف رأسه، فدنا إليه، وقال: يا أبا إسحاق، ما ترى ما فيه الناس؟

فرفع رأسه، وقال: اللهم قد رأيتنا قدرتك فأرنا رحمتك.

فهدأت السفن.

***

شجاعة محارب مسلم...

* ذكر بهاء الدين بن شداد في سيرة صلاح الدين الأيوبي في معرض حديثه عن وقعة الرمل، فقال:

ومن نوادر هذه الوقعة أن مملوكا كان للسلطان يدعى سراسنقر، وكان شجاعا، قد قتل من أعداء الله خلقا عظيما، وفتك بهم، فأخذوا في قلوبهم من نكايته فيهم، فمكروا به، وتجمعوا له، وكمنوا له، وخرج إليه بعضهم، وتراءوا له، فحمل عليهم حتى صار بينهم، ووثبوا عليه من سائر جوانبه، فأمسكوه، وأخذ واحد بشعره، وضرب الآخر رقبته بسيفه، فإنه كان قتل له قريبا فوقعت الضربة في يد الماسك بشعره، فقطعت يده، وخلى عن شعره، فاشتد هربا حتى عاد إلى أصحابه، وأعداء الله يشتدون عدوا خلفه، فلم يلحقه منهم أحد، وعاد سالما، ولله الحمد [1]. **﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾** [الأحزاب: ٢٥].

***

قال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–:

* من حلم ساد، ومن ساد استقاد، ومن استحيا حرم، ومن هاب خاب، ومن طلب الرئاسة صبر على السياسة، ومن أبصر عيب نفسه عمي

(١) وفيات الأعيان، ١/٣٢. #

عن عيب غيره، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها. ومن نسي زلته استعظم زلة غيره، ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته، ومن كابر في الأمور عطب، ومن اقتحم اللج غرق، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تجبر على الناس ذل، ومن تعمق في العمل مل، ومن صاحب الأنذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن حسن خلقه سهلت له طرقه، ومن حسن كلامه كانت الهيبة أمامه، ومن خشى الله فاز، ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل، ومن عرف أجله قصر أمله[1].

***

في فضل الأدب:

* قال شبيب بن شيبة: اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل، ودليل المروءة وصاحب الغربة، مؤنس في الوحشة، وحلية في المجالس، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

* وقال ابن المقفع: إذا أكرمت الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك، فإن الكرامة تزول بزوالهما، ولكن ليعجبك إذا أكرموك لدين أو أدب. وقالوا: من أدب ولده أرغم أنف عدوه.

* وقال الأحنف: الأدب نور العقل، كما أن النور في الظلمة نور البصر.

* وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: قال لي رجل من أهل الأدب، فارسي النسب: إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة، ولم يقصروا عن مكرمة: الشجاع حيث كان، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه، والعالم فبالناس حاجة إلى علمه، والحلو في اللسان فإنه ينال ما يريد

---

(١) النوادر السلطانية، والمحاسن اليوسفية: ص١١٧. #

بحلاوة لسانه، ولين كلامه، فإن لم تعط رباطة الجأش، وجرأة الصدر، فلا يفوتنك العلم، وقراءة الكتب، فإن بها أدبا وعلما قد قيدته لك العلماء قبلك، تزداد بها في أدبك وعلمك.

* وقالوا: من حسن الأدب أن لا تنازع من فوقك، ولا تقول ما لا تعلم، ولا تتعاطى ما لا تنال، ولا يخالف لسانك ما في قلبك، ولا قولك فعلك، ولا تدع الأمر إذا أقبل، وتطلبه إذا أدبر.

* وكانوا يقولون: ثلاثة ليس معهن غربة: مجانبة الريب، وكف الأذى، وحسن الأدب.

***

وصية...

* دخل كعب الأحبار على عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو على فراش وعن يمينه ويساره وسادتان.

فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ اجلس يا أبا إسحاق، وأشار بيده إلى الوسادة، فثناها كعب وجلس على البساط، فقال له عمر: ما يمنعك من أن تجلس على الوسادة، فقال: فيما أوصى سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ لا تغش السلطان حتى يملك، ولا تنقطع عنه حتى ينساك، وإذا دخلت عليه فاجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين، فعسى أن يأتي من هو أولى منك بذلك المجلس، فاستلقى عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال: **﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾** (الأعراف: ١٥٩).

***

الإمام أبو حنيفة....

* عن ابن عيينة قال: (كان أبو حنيفة أكثر الناس صلاة، وأعظمهم أمانة، وأحسنهم مرؤة) [١].

***

* وعن شريك بن عبد الله القاضي قال: (كان أبو حنيفة طويل الصمت، دائم الفكر، كثير العقل، قليل محادثة الناس) [٢].

* وعن وكيع قال: قال الحسن بن صالح بن حي: (كان أبو حنيفة شديد الخوف لله ــ عز وجل ــ هائبا للحرام أن يستحل) [٣].

***

* وعن ابن فضيل قال: (كان أبو حنيفة معروفا بالفضل وقلة الكلام) [٤].

* وعن قيس بن الربيع قال: (كان أبو حنيفة ورعا، تقيا، وكان فضلا على إخوانه) [٥].

***

* وعن إسحاق بن أبي إسرائيل قال: (سمعت سفيان بن عيينة يقول: أتينا سعيد بن أبي عروبة فقال: إنه قد أتتنا هدايا من أبي حنيفة ومن قوم كانوا يهدون إلينا من الكوفة فلو أصبت منها).

***

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/٣٥٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ٦/٤٠٠.
(٣) مناقب أبي حنيفة ١/١٨١.
(٤) مناقب أبي حنيفة ١/٢٤٣.
(٥) تاريخ بغداد ١٣/٣٦٠. #

* وعن محمد بن جابر قال: (كان أبو حنيفة قليل الكلام إلا عما يسأل عنه، قليل الضحك، كثير الفكر، دائم القطوب، كأنه حديث عهد بمصيبة).

***

مناقب الإمام أحمد:

* قال الطبراني: (حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي ميراثه من مصر مائة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله هذه من ميراث حلال فخذها فاستعن بها على عيلتك، قال: لا حاجة لي بها، أنا في كفاية، فردها و لم يقبل منها شيئا)[(١)].

* وقال صالح بن أحمد: (ربما رأيت أبي يأخذ الكسرة ينفض الغبار عنها ويصيرها في قصعة، ويصب عليها ماء ثم يأكلها بالملح، وما رأيته (قط) اشترى رمانًا ولا سفرجلا ولا شيئًا من الفاكهة إلا أن يكون بطيخة فيأكلها بخبز وعنبًا وتمرًا)[(٢)].

قال: (وكان إذا توضأ لا يدع من يستقي له وربما اعتللت فيأخذ قدحًا فيه ماء فيقرأ فيه، ثم يقول: اشرب منه، واغسل وجهك ويديك، وكان ربما خرج إلى البقال فيشتري الجزرة الحطب والشيء فيحمله بيده، وكنت أسمعه كثيرًا يقول: "اللهم سلم سلم"[(٣)].

***

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٢٩٩.

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٣١٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١١/٢٠٩. #

* وقال المروذي: (قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك، قال: أخاف أن يكون هذا استدراجا، بأي شيء هذا، وقلت له: قدم رجل من طرسوس فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء: ادعو لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق ونرمي عن أبي عبد الله، ولقد رمي بحجر، والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة، قال: فتغير وجه أبي عبد الله، وقال ليته لا يكون استدراجًا)(١).

***

* وقال المروذي أيضا: (رأيت طبيبًا نصرانيًا خرج من عند أحمد، ومعه راهب، فقال: إنه سألني أن يجيء معي ليرى أبا عبد الله)(٢).

* وأدخلت نصرانيا على أبي عبد الله فقال له: إني لاشتهي أن أراك منذ سنين ما بقاؤك صلاح للمسلمين وحدهم بل للخلق جميعا، وليس من أصحابنا أحد إلا وقد رضي بك، فقلت لأبي عبد الله: إني لأرجو أن يكون يدعى لك في جميع الأمصار، فقال: يا أبا بكر إذا عرف الرجل نفسه، فما ينفعه كلام الناس) (٣).

* وقال أيضا: (قال لي أحمد: ما كتبت حديثا إلا وقد عملت به حتى مر بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت) (٤).

* وقال كان: أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرت الموت هان علي كل أمر

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠١/١١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢١١/١١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٢١١/١١.
(٤) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٢٣٢. #

الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، فإنها أيام قلائل ما أعدل بالفقر شيئًا ولو وجدت السبيل لخرجت حتى لا يكون لي ذكر) (١).

* وقال أريد أن أكون في شعب مكة حتى لا أعرف قد بليت بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحا ومساءً) (٢).

وقال المروذي: (لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلا إليهم، مقصرا عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع، تعلوه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر)(٣).

وقال: رأيت أبا عبد الله وقد وهب لرجل قميصه، وكان ربما واسى من قوته، وكان شديد الحياء، كريم الأخلاق يعجبه السخاء) (٤).

وقال أيضا: (كان أبو عبد الله لا يجهل، وإن جهل عليه حلم واحتمل، ويقول: يكفي الله، ولم يكن بالحقود، ولا العجول، كثير التواضع، حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ، وكان يحب في الله، ويبغض في الله، وإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه، وكان يحتمل الأذى من الجيران) (٥).

* وقال عبد الله: (كان أبي يصوم ويدمن، ثم يفطر ماء شاء الله، ولا يترك صوم الاثنين والخميس، وأيام البيض، فلما رجع من العسكر أدمن

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢١٥.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٢١٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/٢١٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ١١/٢١٩.
(٥) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢١. #

الصوم إلى أن مات) [١].

* وقال فتح بن نوح: (سمعت أحمد بن حنبل يقول: أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكانا لا يكون فيه أحد من الناس) [٢].

* وقال محمد بن الحسن بن هارون: (رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد).

* وقال غيره: (كان أبو عبد الله يحب الخمول والانزواء عن الناس، ويعود المريض، كان يكره المشي في الأسواق، ويؤثر الوحدة) [٣].

* وقال عبد الله: (سمعت أبي يقول: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي) [٤].

* وقال إبراهيم بن هانئ النيسابوري: (كان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان عندي وذكر من اجتهاده في العبادة أمرًا عجبًا، قال: وكنت لا أقوى معه على العبادة، وأفطر يومًا واحدًا، واحتجم) [٥].

* وقال إبراهيم بن شماس: (كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام وهو يحيي الليل) [٦].

* وقال عبد الله بن أحمد: (لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له، فسمعت أبي يوما يقول: ما صليت اليوم غير الفريضة، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي) [٧].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٦، ٣٥٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٦، ٣٥١.
(٤) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٧.
(٥) سير أعلام النبلاء ١١/٢٢٧.
(٦) مناقب الإمام حمد لابن الجوزي ٣٦٠.
(٧) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٣٦١. #

* وقال ابن الجوزي: (وبلغني عن قاضي القضاة علي بـــن الحـــسين الزينبي أنه حكى: (أن الحريق وقع في دارهم، فأحرق ما فيها إلا كتابا كان فيه شيء بخط الإمام أحمد، قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وغرق كتبي سلم لي مجلد فيه ورقتان بخط الإمام أحمد) [١].

* وقال غيره: (وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبعمائة ببغداد ارتفع الماء فيه على مقابر مقبرة الإمام أحمـــد، ودخـــل في الدهليز علو ذراع، ووقف بقدرة الله، وبقيت الحصر حـــول قـــبر أحمـــد بغبارها، وكان ذلك آية) [٢].

***

* وقال أبو الحسن الميموني: (قال لي علي بن المديني بالبصرة قبل أن يمتحن علي، وبعدما امتحن أحمد بن حنبل وضرب وحبس وأخـــرج: يـــا ميموني ما قام أحد في الإسلام ما قام به أحمد بن حنبل، فتعجبت من هـــذا عجبا شديدا، وأبو بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ وقد قام في الردة وأمر الإسلام ما قام به) .

* وقال الميموني: (فأتيت أبا عبيد القاسم بن سلام فتعجبت إليه من قول علي، قال: فقال لي أبو عبيد مجيبًا: إذا يخصمك، قلت: بأي شيء يا أبا عبيد وذكرت له أمر أبي بكر، قال: إن أبا بكر وجد أنصارا وأعوانـــا، وأن أحمد بن حنبل لم يجد ناصرًا، وأقبل أبو عبيد يطري أبا عبـــد الله ويقـــول: لست أعلم في الإسلام مثله) [٣].

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ٣٧١ – ٣٧٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣١/١١.
(٣) تهذيب الكمال ٤٥٢/١. #

* وقال محمد بن الحسين الأنماطي: (كنا في مجلس فيه يحيى بن معين، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وجماعة من كبار العلماء فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل، ويذكرون فضائله، فقال رجل: لا تكثروا، بعض هذا القول، فقال يحيى بن معين وكثرة الثناء على أحمد بن حنبل تستنكر؛ لو جلسنا مجلسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله لكمالها) [1].

***

من مناقب الإمام البخاري...

* حكى أبو عبد الله الحميدي في كتاب (جذوة المقتبس) (١٢٨) والخطيب في (تاريخ بغداد) (٢/٢٠).

أن البخاري، لما قدم بغداد، سمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا، وعمدوا إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذه الإسناد لإسناد آخر، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضر المجلس يلقون ذلك على البخاري. وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه واحد، من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري: لا أعرفه فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهم، ومن كان فهم ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ١٥٥ ، وتهذيب الكمال ١/٤٥٣.

المقلوبة، فقال البخاري: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد، حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم، فقال:

أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء، حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين كذلك، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها. فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل (١).

***

قول في الغناء...

* عن أبي عثمان الليثي، قال يزيد الناقص:

يا بني أمية إياكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل المسكر، فإن كنتم لابد فاعلين؛ فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا (٢).

***

السلامة من الناس...

* قال أحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ لحاتم الأصم: أخبرني يا حاتم، فيم أتخلص من الناس؟

قال: يا أبا عبد الله، في ثلاثة خصال.

قال: وما هي؟

قال: أن اعطيهم مالك، ولا تأخذ من مالهم شيئا.

---

(١) وفيات الأعيان، ٤/١٩٨.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٣٦.

قال: وتقضي حقوقهم، ولا تستقضي منهم حقا.

قال: وتحمل مكروههم، ولا تكره واحدا منهم على شيء.

قال: فأطرق أحمد ينكت بأصبعه الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: يـــا حاتم، إنها لشديدة.

فقال له حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم [١].

***

من حكم التأديب...

* ذكر أبو الفرج المعافي بن زكريا في كتاب (الجليس والأنـــيس)، عن علي بن الجعد:

أن القاضي أبا يوسف كتب يوما كتابا، وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه، ففطن له أبو يوسف، فلما فرغ من الكتابة التفت إليه، وقال له:

هل وقفت علي شيء من خطأ؟

فقال: لا والله، ولا حرف واحد.

فقال له أبو يوسف: جزيت خيرًا حيث كفيتنا مؤونة قراءته.

ثم أنشد:

كأنـــــه مـــــن ســـــوء تأديـــــه

أســـــلم في كتـــــاب ســـــوء الأدب[٢]

***

(١) وفيات الأعيان ٢/٢٧.

(٢) وفيات الأعيان، ٦/٣٨٣. #

أربع عجائب...

* قال الشافعي: رأيت بالمدينة أربعة عجائب:

- رأيت جدة بنت واحدة وعشرين سنة.
- ورأيت رجلا فلسه القاضي في مدين نوى.
- ورأيت شيخا قد أتى عليه تسعون سنة، يدور نهاره أجمع حافيًا راجلا على القينات، ويعلمهن الغناء، فإذا أتى الصلاة صلى قاعدًا.
- ونسيت الرابعة[١].

***

من فوائد المرض...

* كان الفضل بن سهل قد مرض بخراسان، وأشفى على التلف، فلما أصاب العافية جلس للناس، فدخلوا عليه، وهنوه بالسلامة، وتصرفوا في الكلام. فلما فرغوا من كلامهم أقبل على الناس، وقال: إن في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوها:

تمحيص الذنوب، والتعرض لثواب الصبر، والإيقاظ من الغفلة، والإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء التوبة، والحض على الصدقة[٢].

***

(١) طبقات الشافعية، للسبكي٢/٩٩.

(٢) وفيات الأعيان،٤/٤٢-٤٣. #

من بديع الخطبة وجميل التهنئة...

* قال الحجاج لأيوب بن القرية :

اخطب علي هند بنت أسماء، ولا تزد على ثلاث كلمات.

فأتاهم، فقال: أتيتكم من عند من تعلمون، والأمير معطيكم ما تسألون، أفتنكحون أم تردون؟

قالوا: بل أنكحنا وأنعمنا.

فرجع ابن القرية إلى الحجاج، فقال:

أقر الله عينك، وجمع شملك، وأنبت ريعك، على الثبات والنبات، والغنى حتى الممات، جعلها الله ودودا ولودا، وجمع بينكما على البركة والخير[1].

***

التهنئة بالمولود...

* قال أبو عبد الله الناجي:

كنت عند الحسن، فقال رجل:

ليهنك الفارس.

فقال: لعله يكون بغالا، ولكن قل: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشده، ورزقت بره [2].

***

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة٣/٦٩.

(٢) عيون الأخبار، لابن قتيبة٣/٦٨. #

وإن من شيء إلا يسبح بحمده...

* قال الحسين الزغنداني:

سألت الشيخ عبد الملك الطبري: هل رأيت في الحرم عجبا؟

قال: رأيت حمامة بيضاء طافت أسبوعا بالكعبة في الهواء، ثم جاءت فوقفت على باب الكعبة [(١)].

***

رسالة من ابن إلى والدته...

(من أحمد ابن تيمية، إلى الوالدة السعيدة، أقر الله عينها بنعمه، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخدمه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شيء قدير، ونسأله أن يصلي على خاتم النبيين، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما، كتابي إليكم عن نعم من الله عظيمة، ومنن كريمة، وآلاء جسيمة، نشكر الله عليها، ونسأله المزيد من فضله، ونعم الله كلما جاءت في نمو وازدياد، وأياديه جلت عن التعداد، وتعلمون أن مقامنا الساعة في هذه البلاد إنما هو لأمور ضرورية، متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا، ولسنا والله مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور، فإنكم ــ ولله الحمد ــ ما تختارون الساعة إلا ذلك، و لم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعو لنا بالخير، فنسأل الله العظيم، أن يخير لنا ولكم وللمسلمين ما فيه الخيرة في خير وعافية.

(١) طبقات الشافعية، للسبكي ١٩٢/٧.

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة والهداية والبركة ما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، ونحن في كـــل وقـــت مهمومـــون بالسفر، مستخيرون الله سبحانه وتعالى، فلا يظن الظان أنا نؤثر على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط، بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه، ولكن ثم أمورا كبارا تخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها، والـــشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

والمطلوب كثرة الدعاء بالخير، فإن الله يعلم ولا نعلم، ويقـــدر ولا نقدر، هو علام الغيوب، وقد قال النبي ﷺ : "من سعادة ابن آدم استخارته الله ورضاه بما يقسم الله له، ومن شقاء ابن آدم ترك استخارة الله وسخطه بما يقسم الله له".

والتاجر يكون مسافرا فيخاف ضياع بعض ماله، فيحتاج أن يقـــيم حتى يستوفيه، وما نحن فيه أمر يجل عن الوصف ولا حول ولا قوة إلا بالله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته كثيرا كثيرا، وعلى سائر من في البيـــت من الكبار والصغار، وسائر الجيران والأهل والأصحاب واحـــدا واحـــدا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصـــحبه وســـلم تسليما).

***

* دخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكـــان ســـعيد رجلا جوادا فإذا لم يجد شيئا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخـــرج عطاؤه، فلما نظر إليه تمثل بهذا البيت فقال:

إني سمعـــــت مـــــع الـــــصباح مناديـــــا

يـــا مـــن يعـــين علـــى الفـــتى المعـــوان

ثم قال: ما حاجتك؟ قال: وكم هو؟ قال: ثلاثون ألف دينار، قال: لك دينك ومثله.

* مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقيـــل لـــه: إنهـــم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان مـــن الزيارة، ثم أمر مناديا من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء قال: فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده.

* وعن أبي إسحاق قال: صليت العصر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريما لي، فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان، فقلت: لست من أهل هذا المسجد، فقالوا: إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين.

***

من مكارم سعيد بن العاص ـــ رضي الله عنه ـــ ....

حكي أن سعيد بن العاص، قدم الكوفة عاملا لعثمان بن عفـــان ـــ رضي الله عنه ـــ وكان ممن يتعشى عنده، رجل من الفقراء، قـــد ســـاءت حاله.

فقالت امرأته: ويحك، أنه قد بلغنا عن أميرنا كرم، فاذكر له حالك، وحاجتك، لعله أن ينيلنا شيئا، فلم يبق للصبر فينا بقية.

فقال: ويحك لا تخلقي وجهي.

قالت: فاذكر له ما نحن فيه على كل حال.

فلما كان بالعشي أكل عنده، فلما انصرف الناس، ثبت الرجل.

فقال سعيد: حاجتك؟ فسكت.

فقال سيد لغلمانه: تنحو، ثم قال: إنما نحن أنـــا وأنـــت، فـــاذكر حاجتك، فتعقد، وتعسر، فنفخ سعيد المصباح فأطفأه.

ثم قال له: يرحمك الله، لست ترى وجهي، فاذكر حاجتك.

فقال: أصلح الله الأمير، أصابتنا حاجة، فأحببت أن أذكرها لك.

فقال: إذا أصبحت فالق فلانا وكيلي.

فلما أصبح الرجل، لقي الوكيل، فقال: إن الأمير قد أمر لك بشيء، فهات من يحمله معك، قال: ما عندي من يحمل، فانصرف إلى امرأته، فجعل يلومها، ويقول: قال لي وكيله هات من يحمل معك، وما أظنة أمر لي إلا بقوصرة تمر، أو قفيز بر، وذهب ماء وجهي، ولو كانت دراهم أو دنانير لأعطانيها في يدي.

فلما كان بعد أيام، قالت له امرأته: يا هذا، قد بلغ بنا الأمر إلى ما ترى، ومهما أعطاك الأمير، يقوتنا أياما، فالق وكيله، فلقيه.

فقال: أين تكون؟ إني قد أخبرت الأمير أنه ليس لك من يحمل ما أمر به لك معك، فأمرني أن أوجه من يحمل معك ما أمر به لك.

ثم أخرج إليه ثلاثة من السودان، على رأس كل واحد منهم بدرة دراهم، ثم قال: امضوا معه.

فلما بلغ الرجل باب مترله، فتح بدرة، فأخرج منها دراهم، فدفعها إلى السودان، وقال: امضوا.

فقالوا: أين نمضي، نحن عبيدك، ما حمل مملوك للأمير هدية قط، فرجع إلى ملكه.

قال: فصلحت حاله، واستظهر على دنياه.

***

* وقال المروذي: (مرض أبو عبد الله (يعني أحمد بن حنبل) تسعة أيام، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا يسلمون عليه، ويرد بيده، وتسامع الناس وكثروا، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان ببابه

وباب الزقاق الرابطة، وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق فكان الناس في الشوارع والمساجد حتى تعطل بعض الباعة وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور ربما تسلق وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب، وجاء حاجب ابن طاهر فقال: إن الأمير يقرئك السلام، وهو يشتهي أن يراك، فقال: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد عفاني مما أكره، قال: وأصحاب الحبر يكتبون بخبره إلى العسكر، والبرد تختلف كل يوم، وجاء بنو هاشم، فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه، وجاء قوم من القضاة، وغيرهم، فلم يؤذن لهم، ودخل عليه شيخ فقال: ذكر وقوفك بين يدي الله فشهق أبو عبد الله، وسالت دموعه، فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعوا لي الصبيان بلسان ثقيل، قال: فجعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ويمسح رءوسهم، وعينه تدمع، وأدخلت تحته الطست فرأيت بوله دما عبيطا، فقلت للطبيب: فقال هذا رجل قد فتت الحزن والغم جوفه، واشتدت علته يوم الخميس، ووضأته، فقال: خلل الأصابع، فلما كانت ليلة الجمعة، ثقل، وقبض صدر النهار فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت، وامتلأت السكك والشوارع [1].

***

* وقال بنان بن أحمد: (حضرت الصلاة على جنازة أحمد بن حنبل يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين ومائتين، وكان الإمام عليه محمد بن عبد الله بن طاهر، فأخرجت جنازة أحمد بن حنبل، فوضعت في صحراء أبي قيراط، وكان الناس خلفه إلى عمارة سوق الرقيق، فلما انقضت الصلاة، قال

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣٦/١١. #

محمد بن عبد الله بن طاهر: انظروا كم صلى عليه ورائي، قال: فنظروا فكانوا ثمانمائة ألف رجل، وستين ألف امرأة، ونظروا من صلى في مسجد الرصافة العصر فكانوا نيفا وعشرين ألف رجل) [١].

* وعن فتح بن حجاج قال: (سمعت في دار الأمير أبي محمد عبد الله بن طاهر أن الأمير بعث عشرين رجلا فحزروا كم صلى على أحمد بن حنبل، قال: فحزروا، فبلغ ألف ألف وثمانين ألف وقال: غيره: وثلاثمائة ألف سوى من كان في السفن في الماء) [٢].

* وقال الخلال: (سمعت عبد الوهاب الوراق يقول: ما بلغنا أن جمعا في الجاهلية ولا الإسلام مثله، يعني من شهد الجنازة، حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر فإذا هو نحو من ألف ألف، وحذرنا على القبور نحوًا من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب ينادون من أراد الوضوء) [٣].

* وقال ابن أبي حاتم: (سمعت أبا زرعة يقول: بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف عليه الناس حيث صلي على أحمد فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ألف) [٤].

***

من روائع الكرم ...

* لما رجع عبد الله بن طاهر الخزاعي إلى الشام، ارتفع فوق سطح قصره فنظر إلى دخان يرتفع من جواره، فقال: ما هذا الدخان؟

فقيل: إن الجيران يخبزون.

---

(١) تهذيب الكمال ٤٦٦/١.

(٢) تهذيب الكمال ٤٦٧/١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٣٩/١١.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٤٠/١١. #

فقال: إن من اللؤم أن نقيم بمكان فنكلف جيرانه بالخبز، فاقصدوا الدور، واكسروا التنانير، وأحضروا ما بها من رجل وامرأة.

فأجرى على كل إنسان خبزه ولحمه، وما يحتاج إليه، فسميت أيامه أيام الكفاية [(١)].

***

خذ ناقتك وثمنها....

* باع أعرابي ناقة له من مالك بن أسماء، فلما صار الثمن في يده، نظر إليها فذرفت عيناه، ثم قال:

وقد تنزع الحاجات يا أم معمر كرائم من رب بهن ضنين

فقال له مالك: خذ ناقتك وقد سوغتك الثمن [(٢)].

***

فضل الصدقة...

* جاء رجل من أهل الشام فقال: دلوني على صفوان بن سليم، فإني رأيته دخل الجنة. فقلت: بأي شيء؟

فقالوا: بقميص كساه إنسانا.

فسئل صفوان عن قصة القميص فقال: خرجت من المسجد في ليلة باردة وإذا برجل عار فنزعت قميصي فكسوته [(٣)].

***

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٨٧.
(٢) عيون الأخبار، ١/٣٣٧.
(٣) أحسن المحاسن، ص١٧٨. #

المسامحة والسخاء...

* ذكر الخطيب البغدادي، عن شيخ، قال: حضرت يوم الجمعة المسجد الجامع بمدينة المنصور، فريت رجلا بين يدي في الصف حسن الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة، لم يزل يتنفل مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيام الصلاة، ثم جلس.

فقال: فغلبتني هيبته، ودخل قلبي محبته، ثم أقيمت الصلاة، فلم يصل مع الناس الجمعة، فكبر عليَّ ذلك من أمره، وتعجبت من حاله، وغاظني فعله، فلما قضيت الصلاة، وتقدمت إليه وقلت:

أيها الرجل! ما رأيت عجب من أمرك أطلت النافلة وأحسنتها، وتركت الفريضة وضيعتها!

فقال: يا هذا، إن لي عذرًا وبي علة منعتني من الصلاة.

قلت: وما هي؟

قال: أنا رجل على دين، اختفيت في مترلي مدة بسببه، ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة، فقبل أن تقام التفت فرأيت صاحب الدين، فمن خوفه أحدثت في ثيابي، فهذا خبري، فأسألك بالله إلا سترت عليَّ وكتمت أمري.

فقلت: ومن الذي له عليك الدين؟

قال: دعلج بن أحمد.

وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه، فسمع هذا القول، ومضى في الوقت إلى دعلج، فذكر له القصة.

فقال دعلج: امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام، واطرح عليه خلعة من ثيابي، وأجلسه في مترلي حتى أنصرف من الجامع.

ففعل الرجل ذلك، فلما انصرف دعلج إلى مترله أمر بالطعام فأحضر، وأكل هو والرجل، ثم أخرج حسابه، فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم.

فقال له: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد.

فقال الرجل: لا.

فضرب دعلج على حسابه، وكتب تحته علامة الوفاء، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم، وقال له: أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه، وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم، وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع(١).

ثمرة الإنفاق...

* قال عبد الله بن وهب المصري:

كان حيوة بن شريح يأخذ عطاءه في كل سنة ستين دينارًا.

قال: وكان إذا أخذه؛ لم يطلع إلى مترله حتى يتصدق به.

قال: ثم يجيء إلى مترله، فيجدها تحت فراشه.

قال: وكان له ابن عم، فلما بلغه ذلك أخذ عطاءه فتصدق به، ثم جاء يطلبه تحت فراشه، فلم يجد شيئا.

قال: فشكا إلى حيوة.

فقال حيوة: أنا أعطيت ربي بيقين، وأنت أعطيت ربك تجربة (٢).

***

(١) وفيات الأعيان، ٢/٢٧١.

(٢) وفيات الأعيان، ٣/٣٧. #

إنفاق العبد مما يحب ...

* روي أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – نزل الجحفة وهو شاك، فقال: إني لأشتهي حيتانًا.

فالتمسوا له، فلم يجدوا إلا حوتًا فأخذته امرأته، فصنعته، ثم قربته إليه، فأتى مسكين، فقال ابن عمر – رضي الله عنهما – خذه.

فقال له أهله: سبحان الله، قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه.

فقال: إن عبد الله يحبه.

***

وروي أن سائلًا وقف باب الربيع بن خثيم – رحمه الله – فقال: أطعموه سكرًا.

فقالوا: نطعمه خبزًا أنفع له.

فقال: ويحكم،أطعموه سكرًا، فإن الربيع يحب السكر [(١)].

***

بكاء من لم يقدر على قضاء حوائج الناس....

* أتى سائل **سفيان بن عيينة**، فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقيل: يا أبا محمد! ما الذي أبكاك؟

قال: أيُّ مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجلٌ خيرًا فلا يصيبه [(٢)].

***

من عجائب صنائع المعروف...

* حُكي أن الوزير أبا شجاع استدعى بعض أخصائه في يوم بارد، وعرض عليه رقعة من بعض الصالحين، يذكر فيها أن في الدار الفلانية امرأة

---

(1) مختصر منهاج القاصدين، ص ٣١.

(2) وفيات الأعيان، ٣٩٣/٢.

معها أربعة أطفال أيتام، وهم عراة جياع.

فقال له: امض الآن، وابتع لهم جميع ما يصلح لهم.

ثم خلع أثوابه، وقال: والله لا لبستها، ولا أكلت حتى تعود وتخبرني أنك كسوهم، وأشبعتهم.

وبقي يرعد بالبرد إلى حيث قضى الأمر، وعاد إليه وأخبره [(١)].

***

لا أغير ساكني ...

* كان للقاضي أبي بكر الشامي كراء بيت في الشهر بدينار ونصف، كان منه قوته، فلما ولي القضاء، جاء إنسان، فدفع فيه أربعة دنانير، فأبى، وقال: لا أغير ساكني، وقد ارتبت بك، لم لا كانت هذه الزيادة قبل القضاء؟![(٢)].

***

قصة واقعية معاصرة...

* هذه القصة واقعية حدثت منذ مائة سنة تقريبًا، وقد سبق أن قُدِّمت في ركن البادية من الإذاعة السعودية.

يذكر رجل يسمى ابن جدعان يقول: خرجت في فصل الربيع، وإذا بي أرى إبلي سمانًا، يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ثديها، وكلما اقتربت الحوار ابن الناقة من أمه درت عليه، وانهال الحليب منها لكثرة الخير والبركة، فنظرت إلى ناقة من نياقي ابنها خلفها، وتذكرت جارًا لي له بُنَيَّات سبع فقير الحال، فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها لجاري والله يقول: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** [آل عمران: ٩٢]، وأحب حلالي

(1) طبقات الشافعية، للسبكي ٤/١٣٨، ١٣٩.

(2) طبقات الشافعية، للسبكي ٤/٢٠٥.

هذه الناقة، يقول: فأخذها وابنها، وطرقت الباب على الجار، وقلت: خذها هدية مني لك، فرأيت الفرح في وجهه لا يدري ماذا يقول، فكان يشرب من لبنها ويحتطب على ظهرها، وينتظر وليدها يكبر ليبيعه، وجاءه منها خير عظيم، فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه، تشققت الأرض وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء والكلأ، يقول: شددنا الرحال، وظعنا من مكاننا نبحث عن الماء في الدحول هي حفر في الأرض توصل إلى محابس مائية – أقبية مائية تحت الأرض، لها فتحات فوق الأرض يعرفها البدو.

يقول: فدخلت في هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب، وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون – فتاه تحت الأرض، ولم يعرف الخروج، وانتظر أبناؤه يومًا ويومين وثلاثة حتى يئسوا، قالوا: لعل ثعبانًا لدغه ومات، ولعله تاه تحت الأرض وهلك، وكانوا – عياذًا بالله – ينتظرون هلاكه طمعًا في تقسيم المال والحلال، فذهبوا إلى البيت وقسموا وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير، فذهبوا إليه وقالوا له: أعد الناقة خيرًا لك، وخذ هذا الجمل مكانها، وإلا سنسحبها عنوة الآن، ولن نعطيك شيئًا.

قال: أشتكيكم إلى أبيكم.

قالوا: اشتك إليه، فإنه قد مات.

قال: مات، كيف مات؟ وأين مات؟ ولِمَ لَمْ أعلم بذلك؟

قالوا: دخل دحلًا في الصحراء ولم يخرج.

قال: ناشدتكم الله اذهبوا بي إلى مكان هذا الدحل، ثم خذوا الناقة، وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم.

فذهبوا به، فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفي ذهب وأحضر

حبلًا، وأشعل شمعة، ثم ربطه خارج الدخل، ونزل يزحف على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يحبو، وأماكن فيها يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء فأخذ يرهف تجاه الأنين في الظلام، ويتلمس الأرض، فوقعت يده على الطي، ثم وقعت يده على الرجل، فوضع يده على أنفاسه فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع، فقام وجره، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، ثم أخرجه معه خارج الدحل، ومرس له التمر وسقاه، وحمله على ظهره، وجاء به إلى داره، ودبت الحياة في الرجل من جديد، وأولاده لا يعلمون، فقال: أخبرني بالله عليك، أسبوعًا كاملًا وأنت تحت الأرض ولم تمت، قال: سأحدثك حديثًا عجبًا، لما نزلت ضعت، وتشعبت بي الطرق، فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم، فالماء لا يكفي.

يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ، وبينما أنا مستلق على قفاي، قد أسلمت وفوضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي.

يقول: فاعتدلت في جلستي، وإذا بإناء في الظلام لا أراه يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي، ثم يذهب، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم، ولكنه منذ يومين انقطع ما أدري ما سبب انقطاعه؟

يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت، ظن أولادك أنك مت، وجاءوا إلي وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها، والمسلم في ظل صدقته، **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق: ٢، ٣][1].

***

(1) من كتاب الجزاء من جنس العمل ٥١٩/١.

الفرج ...

* قال الأمير المظفر أسامة بن منقذ – رحمه الله:

وحكى لي صاحبي عن ابن صاحب الطور، وكان طلع معي من مصر في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، قال: حدثني ابن والي الطور – وهي ولاية لمصر بعيدة كان الحافظ لدين الله –رحمه الله– إذا أراد إبعاد بعض الأمراء ولاه الطور – وهو قريب من بلاد الإفرنج...

قال: وليها والدي وخرجت أنا معه إلى الولاية وكنت مغرى بالصيد.

فخرجت أتصيد، فوقع بي قوم من الإفرنج فأخذوني ومضوا إلى بيت جبريل فحبسوني فيه في جب وحدي، وقطع عليَّ صاحب بيت جبريل ألفي دينار.

فبقيت في الجب سنة لا يسأل عني أحد، فأنا في بعض الأيام في الجب وإذا قد رفع عنه الغطاء ودُلِّي إليَّ رجل بدوي.

فقلت: من أين أخذوك؟

قال: من الطريق.

فأقام عندي يويمات وقطعوا عليه خمسين دينارًا.

فقال لي يومًا من الأيام: تريد تعلم أنه ما يخلصك من هذا الجب إلا أنا؟

فخلصني حتى أخلصك.

فقلت في نفسي: رجل قد وقع في شدة يريد لروحه الخلاص، فما جاوبته ثم بعد أيام أعاد عليَّ ذلك القول.

فقلت في نفسي: والله لأسعين في خلاصه لعل الله يخلصني بثوابه.

فصحت بالسجان، فقلت له: قل للصاحب أشتهي أتحدث معك.

فعاد، وأطلعني من الجب وأحضرني عند الصاحب.

فقلت له: لي في حبسك سنة ما سأل أحد عني ولا يدري أنا حي أو ميت، وقد حبست عندي هذا البدوي وقطعت عليه خمسين دينارًا، اجعلها زيادة على قطيعتي ودعني أسيره إلى أبي حتى يفكني، قال: أفعل.

فرجعت عرفت البدوي وخرج ودعني ومضى.

فانتظرت ما يكون منه شهرين فما رأيت هل أثرًا ولا سمعت له خبرًا، فيئست منه.

فما راعني ليلة من الليالي إلا وهو خرج عليَّ من نقب في جانب الجب وقال: قم والله لي خمسة أشهر أحفر هذا السرب من قرية خربة حتى وصلت إليك فقمت معه وخرجنا من ذلك السرب وكسر قيدي وأوصلني إلى بيتي.

فما أدري مما أعجب؟! من حسن وفائه أو من هدايته حتى طلع نقبه من جانب الجب.

وإذا قضى الله سبحانه بالفرج فما أسهل أسبابه [1].

***

الحلال ....

* ذكر المؤرخ محمد راغب الطباخ – رحمه الله – أن الشيخ إبراهيم الهلالي الحلبي العالم الصالح الجليل، ذهب إلى الجامع الأزهر يطب العلم، وأثناء طلبه للعلم أملق وافتقر إلى النفقة، ومضى عليه أكثر من يوم وهو لا يجد ما يأكل، وجاع جوعًا شديدًا، فخرج من غرفته في الأزهر ليسأل اللقمة والطعام، فشاهد بابًا مفتوحًا، وشم منه رائحة الطعام الزكية.

فدخل الباب إلى المطبخ فلم يجد أحدًا، ووجد طعامًا شهيًّا، فأخذ

---

(1) كتاب الاعتبار للأمير أسامة بن منقذ ص ١٠٢.

الملعقة وغمسها فيه، ثم لما رفعها إلى فمه انقبضت نفسه عن تناولها، إذ لم يؤذن له بتناوله، فتركها! وخرج بجوعه وسغبه إلى غرفته في رواق الأزهر.

ولم يمض عليه نحو ساعة إلا وأحد شيوخه ومعه رجل يدخلان عليه غرفته، ويقول له الشيخ: هذا الرجل الفاضل، جاءني يريد طالب علم صالح، أختاره لابنته زوجًا، وقد اخترتك له، فقم بنا إلى بيته ليتم العقد بينكما، وتكون من أهل بيته، فتحامل الشيخ إبراهيم على نفسه ممتثلًا أمر شيخه، وقام معهما، وإذا هما يذهبان به إلى البيت الذي دخله وغمس الملعقة في طعامه!

ولما جلس عقد له والدها عليها وبادر الطعام، فكان الطعام الذي غمس الملعقة فيه ثم تركها، فأكل منه قائلًا في نفسه امتنعت عنه بغير إذن الله، فأطعمنيه الله بإذنه مكرَّمًا معززًا زوجًا.

ثم قدمت معه تلك المرأة الصالحة إلى حلب بعد انتهائه من التحصيل، وكانت أم أبنائه الصالحين [١].

***

كن لي كما أريد ...

* **عن الشافعي** – رحمه الله – عن فضيل ، قال:

قال داود النبي ﷺ: إلهي كن لابني سليمان من بعدي كما كنت لي.

فأوحى الله – تعالى – إليه: «يا داود، قل لابنك سليمان: يكون لي مثلما كنت لي؛ أكن له كما كنت لك»[٢].

***

(1) اعلم النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٢٣١/٧.

(2) بستان العارفين، للنووي ص ١١٢.

الحارس هو الله...

* أخرج أبو نعيم في الدلائل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: عرض لعلي رجلان في خصومة، فجلس في أصل جدار، فقال له رجل: الجدار يقع.

فقال علي: امض، كفى بالله حارسًا.

فقضى بينهما، فقام، ثم سقط الجدار [1].

***

العبد لا يبتلي ربه ...

* قال إبليس لعيسى – عليه السلام:

يا ابن مريم، إنك لا يصيبك إلا ما كتب الله لك.

قال: أجل، يا عدو الله.

قال: فارق هذا الجبل، فارم بنفسك، انظر تموت؟

قال عيسى – عليه السلام –: يا عدو الله إن الله – تبارك وتعالى – يبتلي عبده، والعبد لا يبتلي ربَّه [2].

***

الثقة بالله ...

* جاء في كتاب (المنتظم في أخبار من سكن المقطم) في ترجمة يونس بن عبد الأعلى:

ومن حكاياته التي حكاها عن غيره: أن رجلًا جاء إلى نحاس، فقال له: أسلفني ألف دينار إلى أجل.

---

(1) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٨.

(2) الزهد، للإمام أحمد بن حنبل ص ٢٥٠.

فقال النحاس: من يضمن المبلغ؟

فقال: الله تعالى.

فأعطاه ألف دينار، فسافر بها الرجل يتجر، فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه، فحبسه عدم الريح، فعمل تابوتًا، وجعل فيه ألف دينار، وأغلقه وسمره، وألقاه في البحر، فقال:

اللهم هذا الذي ضمنته لي.

فخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي معه المال، فرأى سوادًا في البحر.

فقال: ائتوني بهذا.

فأتى بالتابوت، ففتحه، فإذا فيه ألف دينار [١].

***

قال عبد الله بن عيسى...

* كونوا ينابيع العلم، مفاتيح الهدى، أحلاس البيوت، جدد القلوب، خلقان الثياب، سرج الليل؛ تعرفوا في أهل السماء، وتخفوا في أهل الأرض[٢].

***

اليقين والنور ...

قال سهل بن عبد الله رحمه الله:

حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه سكون إلى غير الله تعالى.

وحرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكرهه الله تعالى[٣].

***

---

(1) وفيات الأعيان، ٧/٢٥٢.

(2) عيون الأخبار، ٢/٣٠٠.

(3) بستان العارفين، للنووي ص ١٠٥.

العبودية الحقة...

* قيل لأبي عبد الله بن خفيف:

متى يصح للعبد العبودية؟

فقال: إذا طرح كله على مولاه، وصبر معه على بلواه [(١)].

***

التوكل على الله...

* عن جابر - رضي الله عنه - قال:

قاتل رسول الله ﷺ محارب وعطفان بنخل، فرأوا من المسلمين غرَّة، فجاء رجل منهم يُقال له غورث بن الحارث - وقيل: دعثور - حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، وقال:

من يمنعك مني؟

قال: ((الله)).

فسقط السيف من يده.

فأخذ رسول الله ﷺ السيف، وقال:

((**من يمنعك مني؟**)).

قال: كن خير آخذ.

قال: ((**تشهد أن لا إله إلا الله؟**)).

قال: لا، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله.

فأتى أصحابه، وقال: جئتكم من عند خير الناس.

***

---

(1) طبقات الشافعية، للإمام السبكي: ١٥٦/٣.

احفظ الله يحفظك ...

* جاء في مسند الإمام أحمد، عن النبي ﷺ قال: ((**كانت امرأة في بيت، فخرجت في سَرية من المسلمين، وتركت ثنتي عشرة عنزة وصِيصيتها، كانت تنسج بها**)).

قال: ((**ففقدت عنزة لها وصيصيتها**)).

فقالت: يا رب إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإني قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصيتي، وإني أنشدك عنزتي وصيصيتي.

قال: وجعل النبي ﷺ يذكر شدة مناشدتها ربها، - تبارك وتعالى -.

قال رسول الله ﷺ: ((**فأصبحت عنزها ومثلها، وصيصيتها ومثلها**)) والصيصة: هي الصنارة التي يغزل بها وينسج[1].

***

من حفظ الله حفظه الله...

* روى الحاكم من حديث سفينة - مولى رسول الله ﷺ - قال:

رَكبْتُ البحر، فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد، فأقبل إليَّ يريدني، فقلت: يا زادي، أصبحت في صعود مُهبِطة على جنة أو نار، فلا أدري إلى أيهما يسلك بي؟[2].

***

الخوف من النار:

* عن أسد بن وداعة، عن شداد بن أوس الأنصاري:

أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على الفراش لا يأتيه النوم، فيقول:

---

(1) جامع العلوم والحكم، لابن أحمد الحنبلي: ٢/٢١٦.

(2) حياة الصحابة ٢/٦٩٣.

اللهم إن النار أذهبت عني النوم.

فيقوم فيصلي حتى يصبح [١].

***

الخوف من الله...

* قال أنس – رضي الله عنه–:

دخلت حائطًا – أي بستانًا – فسمعت عمر – رضي الله عنه – يقول: وبيني وبينه جدار: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخٍ، لتتقينَّ الله ابن الخطاب أو ليعذبنك [٢].

***

خوف أبي حنيفة من النار ...

* قال يزيد بن الكميت:

كان أبو حنيفة – رضي الله عنه – شديد الخوف من الله – تعالى –، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة **﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾**، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس، نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتذكر ويتنفس، فقلت: أقوم، لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر، وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرًا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شرًّا، أجر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك.

قال: فأذنت، وإذا القنديل يزهر، وهو قائم، فلما دخلت قال لي: تريد أن تأخذ القنديل؟

---

(1) إقامة الحجة، للإمام اللكنوي: ص ٦٤.

(2) تاريخ الخلفاء، للإمام السيوطي: ص ١٢٩.

قلت: قد أذنت لصلاة الغداة.

فقال: اكتم عليَّ ما رأيت.

وركع ركعتين، وجلس حتى أقمت الصلاة، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل [١].

***

خوف عمر بن عبد العزيز من الله...

* سُئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - عن عبادة عمر، فقالت:

والله ما كان بأكثر الناس صلاة ولا أكثرهم صيامًا، ولكن والله ما رأيت أحدًا أخوف الله من عمر، لقد كان يذكر الله في فراشه، فينتفض انتفاض العصور من شدة الخوف حتى نقول: ليصبحن الناس، ولا خليفة لهم [٢].

***

بين عبد الله بن حذافة وملك الروم ...

* عبد الله بن حذافة السهمي ... من منكم لا يعرفه... إنه الصحابي الجليل ... إنه أحد العظماء... الذين لا يخافون في الله لومة لائم ....

إنه أحد الأبطال الشجعان .... ترى ما هي قصته مع الفرج ... وما قصته مع ملك الروم .... سوف ترى أيها المسلم استعلاء المؤمن على المحن والمصائب... وسوف ترى الرقص على الألم والجراح... استمع إلى هذه القصة ...

نظر ملك الروم إلى عبد الله بن حذافة طويلًا ثم بادره قائلًا: إني أعرض

---

(1) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٤١٢/٥.

(2) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم: ص ٤٩.

عليك أمرًا.

قال: وما هو؟

فقال: أعرض عليك أن تتنصر ... فإن فعلت؛ خليت سبيلك، وأكرمت مثواك.

فقال الأسير في أنفة وحزم: هيهات... إن الموت لأحب إليَّ ألف مرة مما تدعوني إليه.

فقال قيصر:إني لأراك رجلًا شهمًا... فإن أجبتني إلى ما أعرضه عليك أشركتك في أمري وقاسمتك سلطاني.

فتبسم الأسير المكبل بقيوده وقال: والله لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت.

قال: إذن أقتلك.

قال: أنت وما تريد، ثم أمر به فصلب، وقال لقناصته – الرومية – ارموه قريبًا من يديه، وهو يعرض عليه التنصر فأبى.

فقال: ارموه قريبًا من رجليه، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى.

عند ذلك أمرهم أن يكفوا عنه، وطلب إليهم أن يترلوه عن خشبة الصلب، ثم دعا بقدر عظيمة فصب فيها الزيت، ورفعت على النار حتى غلت ثم دعاء بأسيرين من أسارى المسلمين، فأمر بأحدهما أن يلقى فيها فألقي، فإذا لحمه يتفتت.

وإذا عظامه تبدو عارية.

ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة ودعاه إلى النصرانية، فكان أشد إباء لها من قبل.

فلمَّا يئس منه، أمر به أن يلقى في القدر التي ألقي فيه صاحباه فلما ذهب به دمعت عيناه.

فقال رجل قيصر لملكهم: إنه قد بكى... فظن أنه قد جزع وقال: ردّوه إليَّ، فلما مثل بين يديه عرض عليه النصرانية فأباها.

فقال: ويحك، فما الذي أبكاك إذاً؟!

قال: أبكاني أني قلت في نفسي: تلقى الآن في هذه القدر، فتذهب نفسك، وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله.

فقال الطاغية: هل لك أن تُقبل رأسي وأخلي عنك؟

فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين أيضًا؟

قال: وعن جميع أسارى المسلمين أيضًا.

قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله، أقبل رأسه فيخلي عني وعن أسارى المسلمين جميعًا، لا ضير في ذلك عليَّ.

ثم دنا منه وقبَّل رأسه، فأمر ملك الروم أن يجمعوا له أسارى المسلمين، وأن يدفعوهم إليه، فدفعوا له.

قدم عبد الله بن حذافة على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وأخبره خبره، فسرَّ به الفاروق أعظم السرور، ولما نظر إلى الأسرى، قال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة... وأنا أبدأ بذلك [1].

***

---

(1) صور من حياة الصحابة عبد الرحمن رأفت الباشا م ص ٥٢.

علامات النجابة ...

* قال بعض الكوفيين: علامة نجابة الصبي في ثلاث: عرامته – شدته –، وجبنه، وبخله، فإنه لا يكون شديد العرامة إلا من جودة نفسه، ولا يبخل إلا من معرفته، ولا يجبن إلا من عقله.

***

يرمون الطير ...

* قيل لأبي الحارث جمين: أتغديت عند فلان؟

قال: لا ولكني مررت بابه وهو يتغدى.

قيل: وكيف علمت ذلك؟

قال: رأيت غلمانه بأيديهم قسيُّ البندق يرمون الطير في الهواء.

***

دعاء بخيل...

* دعا بخيل على صاحبه فقال له: إن كنت كاذبًا، فعشيت السكارى بجبن.

***

دولاب اللقم...

* وصف رجل بخيلًا فقال: عينه دولاب اللقم في أيدي الأضياف.

***

أيدي مقطعة ...

* قيل لبخيل: ما أحسن الأيدي على الأطعمة؟

قال: مقطعة.

***

كلوا بين يديه ...

* استأذن حنظلة على صديق له بخيل، فقيل: هو محموم.

فقال: كلوا بين يديه حتى يعرف.

***

فاكفناه بما شئت ...

* عن عصام بن زيد - رجل من مزينة - قال: كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن فيؤذيهم، فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟

قال: فسكت عنهم، قال: أقبل والحسن جالس مع أصحابه، فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا، فاكفناه ما شئت.

قال: فخر والله الرجل من قامته، فما حمل إلى أهله إلا ميتًا على سرير، فكان الحسن إذا ذكره قال: البائس ما كان أغرَّه بالله [1].

***

دعوة المظلوم ...

* عن الحجاج بن صفوان بن أبي زيد، قال:

وشي رجل ببشر بن سعيد إلى الوليد بن عبد الملك أنه يطعن على الأمراء، ويعيب بني مروان، قال: فأرسل إليه الوليد والرجل عنده، قال: فجيء به ترعد فرائضه فأدخل عليه، فسأله عن ذلك، فأنكر بشر وقال: ما فعلت.

فالتفت الوليد إلى الرجل وقال: يا بشر، هذا يشهد عليك بذلك فنظر إلى بشر وقال: هكذا؟

---

(1) كتاب المستغيثين بالله ص ٩٣.

قال: نعم.

فنكس رأسه وجعل ينكت في الأرض، ثم رفع رأسه، فقال: قد شهد بما قد علمت أني لم أفعله، اللهم إن كنت صادقًا فأرني به آية، قال: فانكب الرجل لوجهه فلم يزل يضطرب حتى مات[١].

***

أضرار الذنوب والمعاصي ...

* إن الذنوب والمعاصي تضر، ولا بد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان.

وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ ومن أسبابها:

١- خروج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلى دار الآلام والأحزان.

٢- خروج إبليس من ملكوت المساء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه وجعل صورته أقبح صورة.

٣- غرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء رءوس الجبال.

٤- تسليط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية.

٥- أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم.

٦- رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعصا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم.

---

(1)المرجع السابق ص: ٩٤.

٧- أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رءوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى.

٨- خسف بقارون وداره وماله وأهله.

٩- أهلك القرون بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا.

١٠- أهلك صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم.

١١- بعث قوم على بني إسرائيل، قومًا أولي بأس شديد، فجاسوا خلال الديار قتلوا الرجال وسبوا النساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرًا.

١٢- ومن الذي مسخهم قردة وخنازير وآخر ذلك أقسم بالرب تبارك وتعالى: **﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾** [الأعراف: ١٦٧][1].

***

توحيد أهل الباطل...

* توحيد أهل الباطل أربعة أنواع:

التوحيد الأول: توحيد الفلاسفة: فهو إنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده وإنكار صفات كماله وأنه لا سمع له ولا بصر... ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ولا كلام ولا وجه ولا يدين، وقالوا: لأنه لو كان كذلك لكان مركبًا وكان جسيمًا مؤلفًا، ولم يكن واحدًا من كل وجه فجعلوه من جنس الجوهر الفرد الذي لا يحس ولا يرى ولا يميز منه جانب عن جانب... بل الجوهر الفرد يمكن وجوده، وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده، فلما اصطلحوا على هذا المعنى في التوحيد وسمعوا قوله: **﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾** [البقرة: ١٦٣]، وقوله: **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾** [المائدة: ٧٣]... نزلوا لفظ القرآن على هذا المعنى الاصطلاحي، وقالوا كما

---

(1) من كتاب الجواب الكافي ابن القيم ص ٤٤.

قالوا عنه – سبحانه... فلم يعرف سوى الباطل الذي اصطلحوا عليه فجعلوه أصلًا لدينه فلما رأوا أن ما جاءت به الرسل يعارضه قالوا: إذ تعارض العقل والنقل قدم العقل.

التوحيد الثاني: توحيد الجهمية: وهو مشتق من توحيد الفلاسفة... وهو نفي صفات الرب كعلمه.. وكلامه وسمعه ... وبصره... وحياته... وعلوه على عرشه ونفي وجهه ... ويديه ... وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسماء الله وصفاته.

التوحيد الثالث: توحيد القدرية والجبرية: وهو إخراج أفعال العباد أن تكون فعلًا لهم، وأن تكون واقعة بإرادتهم وكسبهم، بل هي نفس فعل الله تعالى... فهو الفاعل لها دونهم، ونسبتها إليهم، فعلوها ينافي التوحيد عندهم.

التوحيد الرابع: توحيد القائلين بوحدة الوجود: وأن الوجود عندهم واحد، ليس عندهم وجودان.

قديم وحادث... وخالق ومخلوق... وواجب وممكن... بل الوجود عندهم واحد بالعين.

فهذه الأنواع الأربعة سماها أهل الباطل توحيدًا واعتصموا بالاسم من إنكار المسلمين عليهم وقالوا: نحن الموحدون... وسموا التوحيد الذي بعث الله به رسله: تركيبًا وتجسيمًا وتشبيهًا [1].

***

من درر ابن القيم ...

* كيف يكون عاقلًا من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة.

* اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع

(1) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن القيم ص ١٣٢.

رخيصة، وسيأتي على السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل ولا كثير... قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾ [التغابن: ٩]، وقال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ**﴾ [الفرقان: ٢٧].

* قدر السلعة يعرف بقدر مشتريها والثمن المبذول فيها، والمنادي عليها... فإذا كان المشتري عظيمًا، والثمن خطيرًا، والمنادي جليلًا كانت السلعة نفيسة.

* هلم إلى الدخول على الله ومجاورته في دار السلام بلا نصب ولا تعب ولا عناء بل من أقرب الطرق وأسهلها، وذلك أنك في وقت بين وقتين هو في الحقيقة عمرك وهو وقتك الحاضر بين ما مضى وما يستقبل فالذي مضى تعلمه بالتوبة والندم والاستغفار، وهو عمل قلب، وما يستقبل تصلحه بالامتناع عن الذنوب والعزم والنية الصادقة.

* الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها، فكيف تعدو خلفها.

* دخلت دار الهوى فقامرت بعمرك [(١)].

***

الله أعلم ...

* ذكر عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: خمس إذا سافر فيهن رجل إلى اليمن كن فيه عوضًا من سفره: لا يخشى عبدًا إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد.

وقال عبد الله بن مسعود: من كان عنده علم فليقل به، ومن لم يكن عنده علم

---

(1) كتاب الفوائد ابن القيم ص ٥٦.

فليقل: الله أعلم. فإن الله قال لنبيه: **﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾** [ص: ٨٦].

وقد صح عن ابن مسعود وابن عباس – رضي الله عنهما – أن من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه فهو مجنون.

* كان ابن المسيب لا يكاد يفتي إلا قال: اللهم سلمني وسلم مني.

قال أبو حصين الأسدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر وقال ابن سيرين: لأن يموت الرجل جاهلًا خير له من أن يقول ما لا يعلم.

* وقال الشعبي: (لا أدري) نصف العلم.

* وقال ابن جبير: ويل لمن يقول لما لا يعلم إني أعلم.

* وقال الشافعي: سمعت مالكًا يقول: سمعت ابن عجلان يقول: إذا أغفل العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله.

قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: العجلة في الفتوى نوع من الجهل والخرق..

قال ابن المنكدر: العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم [1].

***

قيمة المرء بعلمه وأدبه...

ليس المسود من المال سؤدده
بل المسود من قد ساد بالأدب

لأن من ساد بالأموال سؤدده
ما دام في جمع ذا الأموال النشب

(1) كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين ص ١٢٧.

إن قـــل يومًـــا لـــه مـــال يـــصير إلى
هـــون مـــن الأمـــر في ذل وفي تعـــب

* قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل وأحسن إزار يتزر به العاقل، والأدب صاحب في الغربة، ومؤنس في القلة، وزين في المحافل، وزيادة في العقل، ودليل على المروءة، ومن استفاد الأدب في حداثته انتفع به في كبره، لأن من غرس فسيلًا[1]، يوشك أن يأكل رطبها، وما يستوي عند أولي النهى، ولا يكون سيان عند ذوي الحجي: رجلان: أحدهما يلحن، والآخر لا يلحن.

وقد حدثنا الحسين بن محمد مصعب السمجى حدثنا أبو داود حدثنا عبد الله بن بكر بن حبيب حدثنا أبي عن سالم بن قتيبة قال: كنت عند ابن هبيرة فجرى الحديث، حتى ذكروا العربية، فقال: والله ما استوى رجلان حسبهم واحد، ومروءهما واحدة، أحدهما يلحن، والآخر لا يلحن، إلا أن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن، قال: فقلت: أصلح الله الأمير! قال: إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج منه ما هو فيه، قال: قلت: صدق الأمير وبرَّ!.

وأنشدني محمد بن عبد الله البغدادي:

أيهـــا الطالـــب فخـــرًا بالنـــسب
إنمـــــا النـــــاس لأم ولأب
هَـــلْ تـــراهم خلقـــوا مـــن فـــضة
أو حديـــد أو نحـــاس أو ذهـــب؟
أو تـــرى فـــضلهم في خلقهـــم
هـــل ســـوى لحـــم وعظـــم وعَـــصَب؟

---

(1) الفسيل: صغار النخل.

إنـــا الفـــضل بحلـــم راجـــح
وبـــأخلاق كـــرام وأدب
ذاكَ مـــن فـــاخر في النـــاس بـــه
فـــاق مـــن فـــاخر منـــهم وغلـــب

وأنشدني محمد بن نصر بن نوفل أنشدني عبد العزيز بن أحمد بن بكار إمام مسجد مكة:

مـــا حُلَّـــة نـــسجت بالـــدُّر والـــذهب
إلا وأحـــسن منـــه المـــرء بـــالأدب

حدثنا محمدبن أبي علي حدثنا أحمد بن محمد المسروقي حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني حدثنا أبو عمر العمري حدثني عبد الله بن سلمة بن مرداس عن أبيه قال: قال لي رجل من حكماء الفرس: أقرب القرابة المودة الدائمة، وأفضل ما ورث الآباء الأبناء حسن الأدب.

قال أبو حاتم – رضي الله عنه –: أفضل ما ورث أبٌ ابنًا ثناء حسن وأدب نافع، والخرس عندي خير من البيان بالكذب، كما أن الحصر خير من العاهر.

فيجب على العاقل أن يذكي قلبه بالأدب، كما يذكي النار بالحطب؛ لأن من لم يذك قلبه رانَ حتى يَسْوَدَّ، ومن تعلم الأدب فلا يتخذه للممارا ة عدة، ولا للمباراة ملجأ، ولكن يقصد قصد الانتفاع بنفسه، وليستعين به على ما يقربه إلى بارئه.

ولقد أنشدني عبد العزيز بن سليمان بن الأبرش:

أدبُ المـــــــــــرء كلحـــــــــــم ودمِ
مــــــــاحواه رجـــــــل إلا صَـــــــلحْ
لــــــــو وزنـــــــتم رجلًـــــــا ذا أدب
بــــــألوف مــــــن ذوي الجهــــل رجـــح

* أنبأنا أحمد بن بشر الكرجي حدثنا محمود بن الخطاب حدثنا رستة عبد الرحمن بن عمر قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما ندمت على شيء ندامتي أني لم أنظر في العربية.

سمعت إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل القاضي يقول: سمعت ابن أخي الأصمعي يقول: سمعت عمي يقول: تعلموا النحو، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة.

***

الجواب الجامع...

* قال الأصمعي: دخل على الحجاج رجلٌ فاستحسن منطقه فقال له: أي عشيرتك أفضل؟ فقال: أتقاهم لله بالرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا.

قال: فأيهم أسوأ؟ قال: أسخاهم حين يسأل، وأجهلهم حين يستجهل.

قال: فأيهم أدهى؟ قال: من كتم سره من صديقه مخافة التقلب يومًا ما.

قال: فأيهم أكيس؟ قال: من أصلح ما له، واقتصد في معيشته، وتعاهد حقوق إخوانه في إجابة دعواهم وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، والتسليم عليهم، والنصح لهم.

قال: فأيهم أفطن؟ قال: من عرف ما يوافق الرجال من الحديث فحدثهم به.

قال: فأيهم أصلب؟ قال: من اشتدت عارضته في الفتن، وكان حازمًا

مع النَّوكى، ومنع حماه، وحمى جاره من الضيم.

فقال الحجاج: لله أبوك! هذه والله جوامع الصواب!

***

المروءة والنجدة والجود...

* قال معاوية للحسن بن علي: ما المروءة يا أبا محمد؟ قال: فقه الرجل في دينه، وإصلاحه معيشته.

قال: فما النجدة؟ قال: الذَّبُّ عن الجار، والصبر عن النائبة، والإقدام على الكراهية.

قال: فما الجود؟ قال: التبرع بالموجود، والإعطاء قبل السؤال.

***

أبو الأسود وزوجه:

* وجرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه، وأراد أخذه منها فصار إلى زياد وهو وال بالبصرة، فسبقته المرأة فقالت: أصلح الله الأمير! هذا ابني كان بطني له وعاء، وحجري له فناء، وثديي له سقاء، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل كذلك سبعة أعوام حتى كملت خصاله، واستوكفت أوصاله، فحين أملت نفعه، ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرهًا، أيها الأمير.

فقال أبو الأسود: أصلحك الله، هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في أوده أمنحه حلمي، وألهمه علمي، حتى تحكم عقله واستحكم فتله.

فقالت: أصلح الله الأمير - صدق، حمله خفًّا، وحملته ثقلًا، ووضعه شهوة، ووضعته كرهًا!

فقال زياد: اردد على المرأة ولدها فهي أحق به منك، ودعني من سجعك يا أبا الأسود!

***

امرأة تصف زوجها ...

* ووصفت امرأة زوجها فقالت:

كان زوجي يسبي الألف، ويهزم الصف، إذا قدر كف، وإذا غنم عف، إن لقي حقًّا ردَّه، وإن لقي معضلًا هدَّه، ولذلك آليت ألا أتزوج بعده!

***

الخنساء وبنوها...

* وقال الأصمعي: حضرت الخنساء بنت عمرو حرب القادسية ومعها بنوها وهم أربعة رجال شباب فقالت لهم من أول الليل: يا بَني، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو: إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة.

ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا غيرت نسبكم، وقد ترون ما أعد الله للمسلمين من الثواب على حرب أعدائه الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران: ٢٠٠].

فإذا أصبحتم غدًا إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستنصرين، وبالله عليهم منتصرين.

فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وحملت نارًا على أوراقها فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالنعيم، وبالكرامة في دار الخلد والمقامة.

فباكر بنوها مراكزهم، وقاتلوا حتى قتلوا – رضي الله عنهم –.

***

دعوة امرأة لزوجها...

* دعت امرأة من الأعراب لزوجها وأراد سفرًا: سهل الله لك الحزون، وقبض عنك المنون، وجنبك ما تخشى، ولقاك ما تهوى، وعجل أوابتك مظفرًا بأعدائك، مدفوعًا عن حوبائك مسرورًا بأهلك وأوليائك.

***

هارون الرشيد والفضيل بن عياض...

* روى الفضل بن الربيع، قال:

حج أمير المؤمنين هارون الرشدي، فبينا أنا نائم بمكة إذ سمعت قرع الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت مسرعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إليَّ لأتيتك فقال: ويحك، قد خطر في نفسي شيء، فانظر لي رجلًا أسأله، فقلت: ههنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إلي لأتيتك.

فقال له: خذ لما جئناك له – رحمك الله – فحدثه ساعة، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم، قال: اقض دينه.

فلما خرجنا، قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلًا أسأله، فقلت: ههنا عبد الرزاق بن همام، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إلي لأتيتك، قال: خذ لما جئناك له – رحمك الله – فحادثه ساعة، ثم قال: أعليك دين؟ قال: نعم، قال: يا

عباسيٌّ! اقض دينه.

ثم انصرفنا، فقال لي: ما أغنى عني صاحبك شيئًا انظر لي رجلًا أسأله.

قلت: ههنا الفضيل بن عياض، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه وإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها، قال: اقرع الباب، فقرعته، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟

فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعته؟ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلي إليه.

فقال [١]: يا لها من كف ما أنعمها وألينها إن نجت غدًا من عذاب الله.

فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب نقي. فقال له: خذ لما جئناك له - رحمك الله -.

فقال [٢]: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليَّ، فعدَّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابك نعمة؟!

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا، فوقّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

---

(1) أي الفضيل بن عياض.

(2) أي الفضيل بن عياض.

وإني لأقول لك هذا، وإني لأخاف عليك أشد الخوف في يوم تزل فيه الأقدام، فهل معك -رحمك الله- مثل هؤلاء من يشير عليك أو يأمرك بمثل هذا؟

فبكى هارون بكاءً شديدًا حتى غشي عليه.

فقلت له: أرفق بأمير المؤمنين، قال: يا ابن أم الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟

ثم أفاق، فقال: زدني -رحمك الله-.

فقال: بلغني يا أمير المؤمنين، أن عاملًا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، قال: فكتب إليه عمر: يا أخي، اذكر طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى باب الرب نائمًا ويقظان وإياك أن يُنصرف بك من عند الله إلى النار، فيكون آخر العهد، ومنقطع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر، فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا وليت لك ولاية حتى ألقى الله.

فبكى هارون الرشيد بكاءً شديدًا، ثم قال له: زدني - رحمك الله -.

فقال: يا أمير المؤمنين! إن العباس، عم المصطفى ﷺ، جاء إلى النبي ﷺ فقال له: أمِّرني، فقال له النبي ﷺ: «**يا عبَّاس، يا عم النبي، نفس تنجيها خيرٌ من إمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تتأمرنّ على أحد فافعل**».

قال: فبكى هارون بكاءً شديدًا، ثم قال له: زدني - رحمك الله -.

قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «**من أصبح لهم غاشًّا لم يرح رائحة الجنة**».

فبكى هارون الرشيد بكاءً شديدًا، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أُلهم حجتي.

قال: فقال: إنما أعني من دين العباد.

قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، إن ربي أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره فقال: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُون * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾** [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها وتقوَّ بها على عبادة ربك.

فقال: يا سبحان الله، أنا أدلك على النجاة وأنت تكافيني بمثل هذا؟ سلمك الله ووفقك، ثم صمت، فلم يكلمنا.

فخرجنا من عنده، فلما أن صرنا على الباب، قال لي هارون: يا عباسي! إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم.

قال غير أبي عمر: فبينا نحن كذلك إذ دخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا، قد ترى سوء ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال تفرجنا به؟ قال: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون الكلام، قال: نرجع فعسى أن يقبل المال؛ قال: فدخل، فلما علم الفضيل، خرج فجلس على تراب في السطح على باب الغرفة، وجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلم يجبه.

فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف - رحمك الله - قال: فانصرفنا.

***

الفرج القريب...

* عن مسعر بن كدام، أن رجلًا ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع في جزيرة، فمكث ثلاثة أيام لم ير أحدًا، ولم يأكل ولم يشرب، فتمثل بقول القائل:

إذا شـــاب الغـــرابُ أتيـــت أهلـــي
وصـــار القـــارُ كـــاللبن الحليـــب

فأجابه صوت مجيب لا يراه:

عـــسى الكـــرب الـــذي أمـــسيت فيـــه
يكـــون وراءه فـــرجٌ قريـــبُ

فنظر فإذا سفينة قد أقبلت، فلوح إليهم فأتوه فحملوه، فأصاب خيرًا كثيرًا.

***

اذهب حرًّا طليقًا...

* أتي للمأمون برجل متهم بالزندقة، ومُد النطع لقتله، فصادف أن المأمون عطس، فشمَّته الحاضرون إلا لهذا المتهم، فوبخه الخليفة على عدم تشميته إياه، مثلما فعل الحاضرون، فقال المتهم: أنا تمسكت بالسنة وهم خالفوها، فقال الخليفة: وكيف؟ فقال الرجل: السنة أن يُشمَّت العاطس بعد أن يحمد الله، وهم شمتوك بمجرد أن عطست، قبل أن تحمد الله، فالتفت الخليفة إلى الموكلين بالرجل، وقال: فكوا قيده، ثم قال له: اذهب حرًّا طليقًا فوالله لا يجتمع في القلب فقه وإلحاد.

***

ابن القيم يفقد ابنه ثم يجده ...

* يقول العلامة ابن قيم الجوزية: (وأخبرك عن نفسي بقضية من ذلك وهي أني أضللت بعض الأولاد يوم التروية بمكة وكان طفلًا فجهدت في طلبه

والنداء عليه في سائر الركب إلى وقت الثامن فلم أقدر له على خبر فأيست منه، فقال لي إنسان: إن هذا عجز، اركب وادخل الآن إلى مكة فتطلَّبه. فركبت فرسًا فما هو إلا أن استقبلت جماعة يتحدثون في سواد الليل في الطريق وأحدهم يقول: ضاع لي شيء فلقيته، فلا أدري انقضاء كلمته أسرع أم وجدان الطفل مع بعض أهل مكة في محملة عرفته بصوته)(١).

***

الستر على أهل الستر...

* عن أحمد بن مهدي قال: جاءتني امرأة ببغداد ليلة من الليالي فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت محنة وقالت: أسألك بالله أن تسترني! فقلت: وما محنتك؟ قالت: أكرهت على نفسي، وأنا حبلى وذكرت للناس أنك زوجي، وأن ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، استرني سترك الله - عز وجل -! فسكتُّ عنها ومضت فلم أشعر حتى وضعت وجاء إمام المحلة في جماعة من الجيران يهنئوني بالولد، فأظهرت لهم التهلل، ووزنت في اليوم الثاني دينارين ودفعتها إلى الإمام، فقلت: ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبق ما فرق بيني وبينها، وكنت أدفع في كل شهر إليها دينارين على يد الإمام، وأقول: هذه نفقة المولود إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفي المولود فجاءني الناس يعزونني فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر ومعها تلك الدنانير التي كنت أبعث لها بيد الإمام فردتها وقالت: سترك الله - عز وجل - كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للمولود وهي لك فاعملي فيها ما تريدين (٢).

***

(1) مفتاح دار السعادة، ص: ٥٩٤.
(2) المنتظم (٦/٢٢٥، ٢٢٦) لابن الجوزي والبداية والنهاية لابن كثير (١١/١٦٣).

تقوى الله أساس التوفيق...

* قال أبو وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أيامًا، فلما جئته.

قال: أين كنت؟

قلت: توفيت أهلي، فاشتغلت بها.

فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها؟

قال: ثم أردت أن أقوم.

فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها؟

فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟

فقال: إن أنا فعلت تفعل؟

قلت: نعم.

ثم حمد الله - تعالى - وصلّى على النبي ﷺ، وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة.

قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى مترلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائمًا، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزًا وزيتًا، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا؟

قال: سعيد.

ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إليَّ فآتيتك؟

قال: لا، أنت أحق أن تؤتى.

قلت: فما تأمرني؟

قال: رأيتك رجلًا عزبًا قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك.

فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءوني، وقالوا: ما شأنك؟

فقال: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ الخبر أمي، فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام.

فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

قال: فمكث شهرًا لا يأتيني ولا آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلَّمت عليه، فرد عليَّ، ولم يكلمني حتى انفضَّ من في المسجد، فلما لم يبق غيري؛ قال: ما حال ذلك الإنسان؟

قلت: هو على ما يحب الصديق، ويكره العدو.

قال: إن رابك شيء فالعصا.

فانصرفت إلى منـــزلي.

وكانت بنت سعيد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد، فأبى سعيد أن يزوجه[1].

***

---

(1) وفيات الأعيان ٢/٣٧٧.

أهل الصفة...

* عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزارٌ وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته [1].

***

ترك المعاصي...

* أتى رجل إبراهيم بن أدهم – رحمه الله تعالى – فقال: يا أبا إسحاق!!

إني مسرف على نفسي، فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا!!!

فقال إبراهيم: إن قبلت خمس خصال، وقدرت عليها لم تضرك المعصية.

قال: هات يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله – تعالى – فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل؟ وكل ما في الأرض رزقه؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا .... هات الثانية!!!

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده؟

قال: هذه أعظم! فأين أسكن؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه؟

قال: لا ... هات الثالثة!!!

قال: وإذا أردت أن تعصيه، وأنت تأكل رزقه، وتسكن بلاده، فانظر

---

(1) رواه البخاري.

موضعًا لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال: يا إبراهيم!!! ما هذا؟ وهو يطلع على ما في السرائر.

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك، ويعلم ما تجاهر به؟

قال: لا ... هات الرابعة!!!

قال: فإذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتى أتوب توبة نصوحًا، وأعمل لله صالحًا! قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال: هات الخامسة!!!

قال: إذا جاءك الزبانية يوم القيامة، ليأخذوك إلى النار، فلا تذهب معهم؟

قال: إنهم لا يدعوني، ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال: يا إبراهيم حسبي حسبي!!! أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

فكان لتوبته وفيًّا، فلزم العبادة، واجتنب المعاصي، حتى فارق الدنيا.

***

موعظة...

* يقول عون بن عبد الله حين يعظ الناس:

إنه ليخشى الله من هو أبرأُ منا، وإنا لنخشى من لا يملكنا، وكيف يخاف البريء أم كيف يأمن المسيء؟ ثم يقول: ويلي! يخاف البريء بفضل علمه، ويأمن المسيء لنقص عقله.

***

أهل الجنة...

* عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا فقال: ((**عُرضت عليَّ الأمم فجعل يمرُّ النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي وليس معه أحد، فرأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق، فرجوت أن يكون أمتي، فقيل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق.**

فقيل: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا قدَّامهم يدخلون الجنة بغير حساب، هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاسة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم.

قال: «**اللهم اجعله منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**سبقك بها عكاشة**»[1].

***

أكثر من ذكر الموت ....

* جاء ابن سعيد بن العاص إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها، ولي عيال وضيعة، أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي وما يصلح عيالي؟

فقال عمر: أحبكم إلينا من كفانا مؤنته، فخرج من عنده فلما صار عند الباب قال عمر: أبا خالد أبا خالد، فرجع فقال: أكثر من ذكر الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسعه عليك، وإن كنت في سعة من العيش ضيَّقه عليك.

***

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم.

خصلتان...

قال حكيم:

* من كانت فيه خصلتان أحبه الله: التقوى، وحسن الخلق.

* من كانت فيه خصلتان أحبه الناس: السخاء، وبذل المعروف.

* من كانت فيه خصلتان أحبه جيرانه: البشاشة، وكرم المعاملة.

* من كانت فيه خصلتان أحبه إخوانه، تذكر معروفهم، ونسيان إساءتهم.

* من كانت فيه خصلتان أحبه تلامذته: بذل الجهد في إفهامهم، ولين الجانب لهم.

* من كانت فيه خصلتان أحبه أساتذته: سرعة الفهم، وتوفير الاحترام لهم.

* من كانت فيه خصلتان أحبه أهله: لطف معاملتهم، وتفهم مشكلاتهم.

* من كانت فيه خصلتان أحبه رؤساؤه: جميل طاعته لهم، وإتقان عمله عندهم.

* من كانت فيه خصلتان أحبه الناس: فعل الخير، واجتناب الأذى.

***

علو الهمة...

* حكي أن الأمير عمارة بن حمزة كان في بعض الأيام جالسًا في مجلس الخليفة المنصور أبي جعفر الدوانيقي، وكان يوم نظره في المظالم، فنهض رجل على قدميه، وقال: يا أمير المؤمنين أنا مظلوم.

فقال: عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي، وابتز ملكي وعقاري.

فأمر المنصور أن يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة.

فقال عمارة بن حمزة: يا أمير المؤمنين، إن كانت الضياع له فما أعارضه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، وما لي حاجة في محاكمته ومماثلته، ولا أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير المؤمنين بضياع.

فتعجب الأكابر الحاضرون من علو همته، وشرف نفسه ومروءته.

***

كلمات من الحكمة....

* قال سعيد بن المسيب: وضع عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للناس ثماني عشرة كلمة، حِكَمٌ كلها، قال:

* ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

* ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يُغلبك.

* ولا تظننَّ بكلمة خرجت من مسلم شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا.

* ومن عرّض نفسه للتهم فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ.

* ومن كتم سره كانت الخيرة في يده.

* وعليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء.

* وعليك بالصدق وإن قتلك.

* ولا تَعَرَّض فيما لا يعني.

* ولا تسأل عما لم يكن، فإن فيما كان شغلًا عما لم يكن.

* ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك.

* ولا تتهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله.

* ولا تصحب الفجار للتتعلم من فجورهم.

* واعتزل عدوك.

* واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله.

* وتخشع عند القبور.

* وذلَّ عند الطاعة.

* واستعصم عند المعصية.

* واستشر في أمرك الذي يخشى الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

***

مفتاح وأسنان ...

* قيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟

قال: بلى!

ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان من أتى الباب بأسنانه فُتح له، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له.

***

من طرائف القضاء...

* قال عبد الرزاق في (المصنف):

حدَّثنا الثوريُّ، عن سليمان الشَّيْبَاني، عن رجل، عن علي:

أنه أتي برجل، فقيل له:

زعم هذا أنه احتلم بأمي.

فقال: اذهب، فأقمه بالشمس، فاضرب ظله(١).

***

(1) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ١٨٠.

للذكر مثل حظ الأنثيين...

* تزوج رجل امرأتين، فولدتا ذكرًا وأنثى في ليلة واحدة، فاختصما في الصبي إلى علي – رضي الله عنه – فأمرهما أن يزنا حليبهما، فمن رجح لبنها، فهي أم الصبي، لقوله تعالى: ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١].

***

الإعراض عن منصب القضاء زُهدًا...

* دعا عثمان – رضي الله عنه – عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – فقال: اذهب، كن قاضيًا.

قال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟

قال: لا، اذهب، كن قاضيًا.

قال: لا تعجل يا أمير المؤمنين، ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: «**من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ**»[١].

قال: بلى.

قال: فإني أعوذ بالله أن أكون قاضيًا.

قال: وما يمنعك من ذلك، وأبوك يقضي بين الناس؟

قال: يمنعني قول النبي ﷺ:

«**من كان قاضيًا بين المسلمين، فقضى بجهل، فهو في النَّار، ومن كان قاضيًا بحقٍّ أو بعدلٍ سأل أن ينفلت كفافًا**».

فما أرجو من القضاء بعد هذا؟[٢].

***

---

(1) رواه أحمد في مسنده.

(2) وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٢/١٣٤.

وصف العدل...

* أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي، قال: دعاني عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - فقال: صف لي العدل؟

فقلت: بخٍ! سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أبًا، ولكبيرهم ابنًا، وللمثل منهم أخًا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، وعلى قدر أجسادهم، ولا تضربن لغضبك سوطًا واحدًا، فتُعد من العادين[1].

***

هذا حقك...

* أسند السلفي في الطيوريات:

أن عبد الملك بن مروان خرج يومًا، فلقيته امرأة، فقالت:

يا أمير المؤمنين!

قال: ما شأنك؟

قالت: توفي أخي وترك ستمائة دينار، فدفع إليَّ من ميراثه دينارٌ واحد، فقيل: هذا حقك.

فعمي الأمر فيها على عبد الملك، فأرسل إلى الشعبي، فسأله، فقال: نعم، هذا توفي، فترك ابنتين فلهما الثلثان أربعمائة.

وأمًّا فلها السدس مائة.

وزوجةً فلها الثمن خمسة وسبعون.

واثنى عشر أخًا فلهم أربعة وعشرون.

وبقي لهذه دينار[2].

***

(1) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ٢٤٣.
(2) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ٢٢١.

عدل القضاء وثباتهم على الحق...

* أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن صالح، قال:

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة:

انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد وفلان التاجرٌ، فادفعها إلى القائد.

فكت إليه سوار:

إن البيّنة قد قامت عندي أنها للتاجر، فلست أخرجها من يده إلا ببينة.

فكت إليه المنصور:

والله الذي لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد.

فكتب له سوار:

والله الذي لا إله إلا هو لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق.

فلما جاءه الكتاب، قال:

ملأتها والله عدلًا، وصار قضاتي تردني إلى الحق[1].

***

اختبار القضاة...

* قال يحيى بن أكتم يمتحن رجلًا للقضاء:

ما تقول في رجلين زوَّج كل واحد منهما الآخر أمه، فوُلد لكل واحد من امرأته ولد، ا قرابة ما بين الولدين؟

فلم يعرفها.

تسامح الإسلام...

* روى القاضي أبو يوسف في كتابه (الخراج):

أن عمر – رضي الله عنه – مرَّ باب قوم وعليه سائل يسأل، كان

([1]) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ٢٦٥.

شيخًا ضريرًا، يبدو عليه أنه ذمِّيٌّ ،فضرب عمر بعضده، وقال:

من أي أهل الكتاب أنت؟

فقال: يهودي.

فقال: ما ألجأك إلى ما أرى؟

قال: أسأل الجزية والحاجة والسنَّ.

فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منـــزله، وأعطاه شيئًا مما عنده، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، وقال له.

انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفنا الرجل أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وهذا من المساكين من أهل الكتاب.

ثم رد عنه الجزية وعن أمثاله[1].

***

ملوك النصارى يخططون... لنقل جسد رسول الله ﷺ...!!

* رأى الملك العادل نور الدين محمود زنكي في سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وهو في بلاد الشام رؤيا عظيمة في منامه فقدم المدينة المنورة من أجلها... فقد رأى النبي ﷺ ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له في كل واحدة منها: يا محمود أنقذني من هذين الشخصين!! وهو يشير إلى

(1) الخراج، لأبي يوسف ص ١٢٦.

شخصين أشقرين تجاهه، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك فقال له: هذا أمر حدث في مدينة النبي ﷺ ليس له غيرك، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك حتى دخل المدينة على غفلة من أهلها والوزير معه وزار وجلس في المسجد لا يدري ما يصنع، فقال له الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما، قال: نعم فطلب الناس عامة للصدقة وفرق عليهم ذهبًا كثيرًا وفضة، وقال: لا يبقين أحد بالمدينة إلا جاء فلم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلين في الناحية التي تلي قبلة حجرة النبي ﷺ من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا: نحن على كفاية! ما نقبل شيئًا، فجدَّ في طلبهما فجيء بهما فلما رآهما قال الوزير: هما هذان! فسألهما عن حالهما وما جاء بهما؟ فقالا: لمجاروة النبي ﷺ! فقال: أصدقاني وتكرر السؤال حتى أفضى إلى معاقبتهما فأقرا أنهما من النصارى وأنهما وصلا لكي ينقلا من في هذه الحجرة المقدسة باتفاق من ملوكهم! ووجدهما قد حفرا نفقًا من تحت حائط المسجد القبلي وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ويجعلان التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه، فضرب أعناقهما عند الشباك الذي في شرقي حجرة رسول الله ﷺ خارج المسجد ثم أحرقا بالنار آخر النهار، وركب متوجهًا إلى الشام!!

ويذكر أنه أمر بالحفر حول ضريح النبي ﷺ فلما وصولا إلى الجبل أمر بأن يصب حوله الرصاص لئلا يتمكن عدو من الوصول إلى جسد رسول الله ﷺ.

اذهب فأتني بصاحبك حتى أدفع إليك المال...!

* دفع رجلان من قريش إلى امرأة مائة دينار وديعة، وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه، فلبثا حولًا، فجاء أحدهما فقال: إن صاحبي قد مات فادفعي إليَّ الدنانير، فأبت، وقالت: إنكما قلتما لي: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه! فلست بدافعتها إليك، فثقَّل عليها بأهلها وجيرانها حتى دفعتها إليه، ثم لبثت حولًا آخر، فجاء الآخر فقال: ادفعي إليَّ الدنانير، فقالت: إن صاحبك جاءني، فزعم أنك قد مت، فدفعتها إليه، فاختصما إلى عمر – رضي الله عنه – فأراد أن يقضي عليه، فقالت: ادفعنا إلى علي بن أبي طالب، فعرف عليٌّ أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قد قلتما: لا تدفعيه إلى واحد منها دون صاحبه؟ قال: بلى، قال: فإن مالك عندها، فاذهب فجئ بصاحبك حتى تدفعه إليكما!!

***

عدلت فأمنت فنمت...!!

* أرسل قيصر رسولًا إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لينظر أحواله ويشاهد أفعاله، فلما دخل المدينة سأل أهلها، وقال: أين ملككم؟ فقالوا: ما لنا ملك، بل لنا أمير قد خرج إلى ظاهر المدينة!! فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائمًا في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار وقد وضع درته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه قد بل الأرض!! فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه، وقال: رجل لا يقر للملوك قرار من هيبته وتكون هذه حالته! ولكنك يا عمر عدلت فأمنت فنمت، وملكنا يجور فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا، أشهد أن دينك الدين الحق، لولا أنني أتيت رسولًا لأسلمت، ولكن أعود وأسلم...!

***

هذا من آثار تلك الرضعة ...!!

* كانت أم إمام الحرمين جارية اشتراها والده من كسب يده من النسخ، وأمرها أن لا تدع أحدًا يرضعه غيرها، فاتفق أن امرأة دخلت عليها فأرضعته مرة فأخذه والده فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقه و لم يزل به حتى قاء ما في بطنه من لبن تلك المرأة! فكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور – ضعف وإعياء – ووقفة فيقول: هذا من آثار تلك الرضعة!!

***

أنساب...

* حدث رجل قال: كنت في سفر فضللت الطريق، فرأيت بيتًا في الفلاة فقصدته، فإذا به أعرابية، فلما رأتني قالت: من تكون؟

قلت: ضيف.

قالت: أهلًا وسهلًا بالضيف، انزل على الرحب والسعة.

قال: فنزلت، فقدمت تلك الأعرابية لي طعامًا فأكلت، وماء فشربت، فبينا أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت، فقال: من هذا؟

فقالت: له امرأته: إنه ضيف.

قال: لا أهلًا ولا مرحبًا ما لنا وللضيف؟

قال الرجل: فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي ورحلت عن بيته.

فلما كان من الغد، رأيت بيتًا في الفلاة، فقصدته، فإذا فيه أعرابية، فلما رأتني قالت: من تكون؟

قلت: ضيف.

قالت: لا أهلًا ولا مرحبًا بالضيف؛ ما لنا وللضيف؟

قال: وبينما هي تكلمني، إذ أقبل صاحب البيت، فلما رآني قال: من هذا؟

قالت: ضيف.

فقال زوجها: أهلًا ومرحبًا بالضيف.

ثم أتى زوج الأعرابية بطعام طيب فأكلت، وبماء فشربت، وتذكرت ما حدث لي بالأمس فتبسمت، فسألني زوج الأعرابية: لماذا تبتسم؟

فقصصت عليه ما حدث لي بالأمس مع تلك الأعرابية وزوجها، وما سمعت منه ومن زوجته، فابتسم الأعرابي بدوره وقال:

لا تعجب: إن تلك الأعرابية التي رأيتها البارحة هي أختي، وزوجها هو أخ أمرأتي.

***

رغيف لا عروس...

* وقف سائل بباب بخيل يطلب إحسانًا.

فقال له البخيل: النساء لسن في المترل،؛ يرزقك الله.

فرد السائل: إنني أسألك رغيفًا وليس عروسًا.

***

للضيفان أعددها...

* مر بعض الأعراب بالحطيئة وهو يرعى غنمه وفي كفه عصا، فناداه الأعرابي: يا راعي الغنم؛ فأومأ إليه الحطيئة بعصاه، وقال: إنها عجراء من سلم.

فقال الأعرابي: إني ضيف.

فقال: وللضيفان أعددها.

***

أشهد أنه لحم ولي...

* قال أحدهم: دعاني كوفي إلى مترله، فقدم لي دجاجة فأكلت من المرقة، وجهدت أن آكل من اللحم فما قدرت لصلابته، وبتُّ عنده، فأعاده في الغد إلى القدر وطرح عليه سكرًا فعاد زيرباجًا، فقدمه وأكلت من المرق وجهدت أن آكل من اللحم فما قدرت لشدته، فبت عنده الليلة الثانية، فلما كان من الغد، قال لغلامه: اطرح عن اللحم من المرق ليصير قلية، ففعل ثم قدمه إليَّ فأكلت من المرق وجهدت أن آكل من اللحم فلم أقدر لقوته، فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها إلى جهة القبلة لأصلي إليها.

فقال: ما هذا الذي تصنع؟

قلت: أشهد أنه لحم ولي من أولياء الله، فإنه قد أدخل النار ثلاث دفعات فلم تفعل فيه شيئًا.

فلما أردت الانصراف إذا ببعض جيرانه يدق الباب؛ فقال له: أعرني ذلك اللحم لضيف وأفاني من الغد لأطبخه له وأرده إليك إن شاء الله تعالى، فناوله إياه.

***

كيلجة بدرهم...

* قال الأصمعي: قالت امرأة لزوجها: اشتر لنا رطبًا؛ فقال لها: وكيف يباع؟

قالت: كيلجة [1] بدرهم.

فقال: والله لو خرج الدجال وعاث في الأرض، وأنت تمخضين بعيسى، والناس ينتظرون الفرج عليه في قتال الدجال، ثم لم تلديه حتى تأكلي الرطب،

---

[1] الكيلجة: مكيال.

ما اشتريته لك كيلجة بدرهم.

***

يفسون في المسجد...

* كان زيد بن عبيد الله الحارثي على المدينة، وكان فه جفاء وبخل، فأهدي إليه كاتب له سلال فيها أطعمة، وقد تنوق فيها، فوافقه وقد تغدى، فقال: ما هذا؟

قالوا: أهل الصفة أمر الأمير بإحضارهم.

فقال: يا خثيم، اضربهم عشرة أسواط، فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجد رسول الله ﷺ.

***

نذر...

* أرسلت امرأة من قوم أبي الأسود الدؤلي ابنها إليه أن يعيرها القدر، ويعلمه أن أمه نذرت أن تجعل للحي طعامًا.

فقال أبو الأسود: سلوها؛ فإن كان قدرنا دخلت في نذرها، وإلا فلتطلب غيرها.

***

بورك فيك...

* سأل متكفف الأصمعي؛ فقال: لا أرتضي لك ما يحضرني.

فقال السائل: أنا أرضى به.

فقال الأصمعي: هو، بورك فيك.

ما بالهم يلوموننا...

* عُذل بعض البخلاء على بخله، فقال: يا قوم هب الناس يلوموننا على التقصير فيما بيننا وبينهم، ما بالهم يلوموننا على التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا؟

***

وراءك أوسع...

* وقف على باب أب الأسود الدؤلي سائل وهو يأكل، فقال: السلام عليكم.

قال: كلمة مقولة.

قال: أدخل.

قال: وراءك أوسع.

***

يا غلام فرسي..

* أكل رجل مع بعض الهاشميين فكان على مائدته أرغفة متبددة، فلما فرغ من رغيفه قال: يا غلام فرسي.

فقال الهاشمي: وما تصنع به؟

قال: أركبه إلى ذلك الرغيف.

***

مرق بلا دسم...

* تغدى الجماز عند هاشمي فمر الغلام بصفحة فقطر منها قطرة على ثوب الجماز.

فقال الهاشمي: ائته بطست يغسلها.

فقال الجماز: دعه، فمرقتكم لا تغير الثياب. (أي لا دسم فيها).

***

مراعاة...

* أكل أعرابي مع معاوية، فرأى معاوية في لقمة شعرة فقال:

خذ العشرة من لقمتك.

فقال: وإنك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعر، والله لا آكلتك بعدها.

***

الداريشي وأخوه....

* حدَّث المصري وكان جار الدراديشي، وماله لا يحصى، قال: فانتهر سائلًا ذات يوم وأنا عنده، ثم وقف عليه آخر فانتهره، إلا أن ذلك بغيظ وحنق.

قال: فأقبلت عليه وقلت له: ما أبغض إليك السؤال؟

قال: أجل عامة من ترى منهم أيسر مني.

قال: قلت: ما أظنك أبغضتهم إلا لهذا.

قال: كل هؤلاء لو قدروا على داري هدموها، وعلى حياتي لنزعوها.

أنا لو طاوعتهم فأعطيتهم كلما سألوني، كنت قد صرت مثلهم منذ زمان.

فكيف تظن بغضي يكون لمن أرادني على هذا.

وكان أخوه شريكه في كل شيء، وكان في البخل مثله، فوضع أخوه في يوم جمعة بين أيدينا – ونحن على بابه – طبق رطب يساوي بالبصرة دانقين، فبينما نحن نأكل إذ جاء أخوه، فلم يسلِّم ولم يتكلم حتى دخل الدار، فأنكرنا ذلك، وكان يفرط في إظهار البشر، ويجعل البشر وقاية دون ماله، وكان يعلم أنه إن جمع المنع والكبر قُتل. قال: ولم نعرف علَّته، ولم يعرفها أخوه.

فلما كان الجمعة الأخرى، دعا أيضًا أخوه بطبق رطب، فبينما نحن نأكل، إذ خرج من الدار ولم يسلم ولم يقف، فأنكرنا ذلك، ولم ندر أيضًا قصته، فلما كان في الجمعة الثالثة ورأى مثل ذلك، كتب إلى أخيه: (يا أخي كانت الشركة بيني وبينك حين لم يكثر الولد، ومع الكثرة يقع الاختلاف، وليست آمن أن يخرج ولدي وولدك إلى مكروه، وههنا أموال باسمي ولك شطرها، وأموال باسمك ولي شطرها، وصامت في مترلي وصامت في مترلك، لا نعرف فضل بعض على بعض، وإن طرقنا أمر الله، ركدت الحرب بين هؤلاء الفتية، وطال الصخب بين هؤلاء النسوة، فالرأي أن نتقدم اليوم فيما يحسم عنهم هذا السبب).

فلما قرأ أخوه كتابه، تعاظمه ذلك وهاله، وقلب الرأي ظهرًا لبطن، فلم يزده التقليب إلا جهلًا. فجمع ولده وغلظ عليهم، وقال: (عسى أن يكون أحد منكم قد أخطأ بكلمة واحدة، أو يكون هذا البلاء من جرائر النساء).

فلما عرف براءة ساحة القوم، تمشى إليه حافيًا راجلًا، فقال: ما يدعوك إلى القسمة والتمييز؟ ادع صلحاء أهل المسجد الساعة، حتى أشهدهم بأني وكيل لك في هذه الضياع، وحوِّل كل شيء من مترلي إلى مترلك، وجرب ذلك مني الساعة، فإن وجدتني أروغ وأعتل، فدونك، فحاجتي الآن تخبرني بذنبي.

قال: مالك من ذنب، وما من القسمة من بد.

فأقام عنده يناشده إلى نصف النهار، ثم أقام يومه ذلك إلى نصف الليل، يناشده ويطلب إليه، فلم طال عليه الأمر وبلغ منه الجهد، قال له:

حدثني عن وضعك أطباق الرطب وبسطك الحصر في السكك، وإحضارك الماء البارد، وجمعك الناس على بابي في كل جمعة،

كأنك ظننت أنا كنا عن هذه المكرمة عميًا. إنك إذا أطعمتهم اليوم البرني، أطعمتهم غدًا السكر، وبعد غد الهلباثا، ثم يصير ذلك بعد أيام الجمع في سائر أيام الأسبوع، ثم يتحول الرطب إلى الغداء، ثم يؤدي الغداء إلى العشاء، ثم تصير إلى الكساء، ثم الأجداء ثم الحملان، ثم اصطناع الصنائع، والله إني لأرثي لبيوت الأموال ولخراج المملكة من هذا، فكيف بمال تاجر جمعه من الحبات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف.

قال: جعلت فداك، تريد أن لا آكل رطبة أبدًا فضلًا على غير ذلك؟ وأخرى فلا والله لا كلمتهم أبدًا.

قال: إياك أن تخطئ مرتين: مرة في إطعامهم فيك، ومرة في اكتساب عداوتهم، اخرج من هذا الأمر على حساب ما دخلت فيه وتسلم تسلم.

***

الحمد...

* الحمد: هي أول كلمة ابتدأ بها القرآن الكريم في المصحف، حيث هي أول فاتحة الكتاب، وهي من الكملات التي وردت في كتاب الله كثيرًا حيث جاء ذكرها فيه معرفة ونكرة ثمان وثلاثين مرة وهي تذكر فيه إما مقرونة بلفظ الجلالة، أو مضافة إلى كلمة الرب أو مبتدأ لضمير مجرد عائد إليه. لكن أكثر ذلك ورودًا في القرآن اقتران الاسم الأعظم بها كما جاء في أول فاتحة الكتاب **﴿الْحَمْدُ للهِ﴾**.

ومعنى (الحمد): الثناء الكامل، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد فهو سبحانه يستحق الحمد كله وبأجمعه، فله الأسماء الحسنى وصفات الكمال.

والحمد نقيض الذم، وهو أعمق من الشكر، واشتقاقات اللفظ

كثيرة أشهرها [محمد] اسم النبي ﷺ سماه جده عبد المطلب رجاء أن يحمد في السماء والأرض، وقد كان له ذلك، فهذه الصيغة من الاشتقاق تدل على كثرة خصاله المحمودة.

والحمد لله، كلمة كل شاكر فضلٍ من أفضال الله عليه، فقد ورد أن آدم – عليه السلام – حين عطس قال: (الحمد لله) وصارت كلمة كل مؤمن يشكر ربه على أن فرج عنه بالعطاس عما في جوفه من نفس زائد.

وجرت الكلمة على لسان الأنبياء، فهم أولى الناس بشكر ربهم، وقد جاء من ذلك في القرآن الكريم قول إبراهيم – عليه السلام – **﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾** [إبراهيم: ٣٩]، وقال الله لنوح – عليه السلام–: **﴿فَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [المؤمنون: ٢٨]، وقال لنبيه محمد ﷺ: **﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾** [الإسراء: ١١١].

والحمد لله، كلمة أهل الجنة، يحكي القرآن عنهم فيقول: **﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾** [فاطر: ٣٤]، **﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [يونس: ١٠].

وهذا الثناء خص الله به نفسه، و لم يأذن في ذلك لغيره، بل نهاهم عنه في كتابه حيث يقول: **﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾** [النجم: ٣٢]، ونهى رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – عن ذلك وقال: «**احثوا في وجه المدَّاحين التراب**».

***

القارب العجيب ...

* تحدى أحد الملحدين – الذين لا يؤمنون بالله – علماء المسلمين في أحد البلاد، فاختاروا أذكاهم ليرد عليه، وحددوا لذلك موعدًا.

وفي الموعد المحدد ترقب الجميع وصول العالم، لكنه تأخر، فقال الملحد للحاضرين: لقد هرب عالمكم وخاف: لأنه علم أني سأنتصر عليه، وأثبت لكم أن الكون ليس له إله!

وأثناء كلامه حضر العالم المسلم واعتذر عن تأخره، ثم قال: وأن في الطريق إلى هنا، لم أجد قاربًا أعبر به النهر، وانتظرت على الشاطئ وفجأة ظهر في النهر ألواح من الخشب، تجمعت مع بعضها بسرعة ونظام حتى أصبحت قاربًا، ثم اقترب القارب مني، فركبته وجئت إليكم.

فقال الملحد: إن هذا الرجل مجنون، فكيف يتجمع الخشب ويصبح قاربًا دون أن يصنعه أحد، وكيف يتحرك بدون وجود من يحركه؟!

فتبسم العالم، وقال: فماذا تقول عن نفسك وأنت تقول: إن هذا الكون العظيم الكبير بلا إله؟.

***

دعابة النبي ﷺ...

* كان الرسول ﷺ يجلس في مسجده ومعه بعض الصحابة، وأمامهم تمر يأكلون منه فدخل عليهم صهيب الرومي - رضي الله عنه - وكانت إحدى عينيه مريضة بالرمد، فجلس يأكل معهم، فداعبه النبي ﷺ قائلًا:

«**تأكل تمرًا وبك رمد؟!**».

فقال صهيب الرومي - رضي الله عنه -.

يا رسول الله، إنما آكل على شق عيني الصحيحة.

فتبسم رسول الله ﷺ وتبسم الصحابة - رضي الله عنهم-.

***

قصة الدرهم الواحد...

* يحكى أن امرأة جاءت إلى أحد الفقهاء، فقالت له: لقد مات أخي وترك ستمائة درهم، ولما قسموا المال لم يعطوني إلا درهمًا واحدًا.

فكر الفقيه لحظات، ثم قال لها: ربما كان لأخيك زوجة وأم وابنتان واثنا عشر أخًا، فتعجبت المرأة، وقالت: نعم، وهو كذلك.

فقال: إن هذا الدرهم حقك، وهم لم يظلموك: فلزوجته ثمن ما ترك وهو يساوي (٧٥ درهمًا) ولابنتيه الثلثين، وهو يساوي (٤٠٠ درهم) ولأمه السدس المبلغ، وهو يساوي (١٠٠ درهم) ، ويتبقى (٢٥ درهمًا) توزع على إخوته الاثنى عشر وعلى أخته، ويأخذ الرجل ضعف ما تأخذه المرأة، فكل أخ درهمان، ويتبقى للأخت – التي هي أنت – درهم واحد.

***

قصة المال الضائع...

* يروى أن رجلًا جاء إلى الإمام أبي حنيفة ذات ليلة، وقال له: يا إمام! منذ مدة طويلة دفنت مالًا في مكان ما، ولكني نسيت هذا المكان، فهل تساعدني في حل هذه المشكلة.

فقال له الإمام: ليس من عمل الفقيه حتى أجد حلًّا، ثم فكر لحظة وقال له: اذهب، فصل حتى يطلع الصبح، فإنك ستذكر مكان المال إن شاء الله تعالى.

فذهب الرجل، وأخذ يصلي، وفجأة وبعد وقت قصير، وأثناء الصلاة، تذكر المكان الذي دفن المال فيه، فأسرع وذهب إليه وأحضره.

وفي الصباح جاء الرجل إلى الإمام أبي حنيفة، وأخبره أنه عثر على المال، وشكره، ثم سأله، كيف عرفت أني سأتذكر مكان المال؟! فقال الإمام:

لأني علمت أن الشيطان لن يتركك تصلي، وسيشغلك بتذكر المال عن صلاتك.

***

أضف إلى معلوماتك...

* أول قمر صناعي أطلق في مدار حول الأرض هو (سبوتينك – ١) وقد بلغ وزنه ٨٤ كجم، وقد أطلقه الروس مفتتحين به عصر الفضاء، وكان يدور هذا القمر حول الأرض مرة واحدة كل ٥٨ دقيقة كان ذلك عام ١٩٥٧م.

* حين تنظر إلى القمر تجد على سطحه بقعًا لامعه وأخرى داكنة، أما اللامعة فهي الجبال تظهر كذلك نتيجة لعكس أشعة الشمس عليها وأما المنخفضات فتبدو داكنة وقد أطلق عليهما القدماء خطأ اسم البحار والحقيقة أنه ليس على القمر قطرة ماء واحدة.

* تبلغ أعداد البراكين النشطة في العالم ٦٠٠ بركان وتقع معظمها في شمال غرب أمريكا واليابان ونيوزلندا والباسفيك ويقع قسم منها تحت سطح الماء.

* أول من قسم السنة إلى أشهر هم (السومريون) وسموها حسب ما يحدث في كل شهر من عمليات زراعية واقتصادية.

* أول مكتبة في التاريخ وُجدت عام ٢٠٠٠ ق.م في طيبة بمصر وقد سميت بـــ (صيدلية الروح).

* قسم الأسبوع إلى سبعة أيام وسبب هذا التقسيم يعود إلى تغير شكل القمر، والقمر عندما يظهر أول الشهر يكون هلالًا صغيرًا وبعد سبعة أيام يأخذ شكل نصف دائرة وفي السبعة أيام الثانية يكون بدرًا (كامل الاستدارة)

ثم ينقضي في السبعة أيام الثالثة فيعود لما كان نصف دائرة وفي السبعة أيام الرابعة يعود فيختفي، وهكذا قسم الإنسان الشهر إلى أربعة أسابيع والأسبوع إلى سبعة أيام.

* سمي البحر الأحمر كذلك لوجود صخور حمراء ظاهرة في شواطئه ولعسكرة المعسكرات المرجانية ذات اللون الأحمر في مياهه.

* أكبر الغابات في العالم تقع في شمال الاتحاد السوفيتي وتبلغ مساحتها ما يعادل ٢٥% من مجموع غابات العالم.

***

المرأة الحكيمة...

* صعد عمر - رضي الله عنه - يومًا المنبر، وخطب في الناس فطلب منهم ألا يغالوا في مهور النساء؛ لأن رسول الله ﷺ وأصحابه لم يزيدوا في مهور النساء عن أربعمائة درهم؛ لذلك أمرهم ألا يزيدوا في صداق المرأة على أربعمائة درهم فلما نزل أمير المؤمنين من على المنبر، قالت له امرأة من قريش:

يا أمير المؤمنين: نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاهن على أربعمائة درهم؟

قال: نعم.

فقالت: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿**وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا**﴾ [النساء: ٢٠] (القنطار: المال الكثير).

فقال: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر.

ثم رجع فصعد المنبر، وقال: يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في مهور النساء، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل.

***

الاختيارات الأربعة...

* قال النسفي وغيره:

اختار الله – تعالى – من العالم أربعة:

الماء؛ والنار؛ والهواء؛ والتراب.

فالماء: طهرك، يا ابن آدم؛ **والنار:** طباخك؛ **والهواء:** نسيمك؛ **والتراب:** مسجدك.

واختار من الملائكة أربعة:

جبريل: صاحب وحيك؛ **وميكائيل:** خازن نعمتك؛ **وإسرافيل:** صاحب لوحك؛ **وعزرائيل:** قابض روحك.

واختار من الأنبياء أربعة:

إبراهيم: أباك؛ **وموسى:** أخاك، **وعيسى:** مبشرًا برسالتك؛ **ومحمدًا** ﷺ: شفيعك، صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

واختار من الكتب أربعة:

التوراة: مفخرك؛ **والإنجيل:** شرفك؛ **والزبور:** موعظتك؛ **والقرآن:** عصمتك.

ومن القبلة أربعة:

العرش: موضع دعوتك؛ **والكرسي:** موضع رحمتك؛ **والبيت المعمور:** مصعد عملك؛ **والكعبة:** قبلتك.

واختار من الشهور أربعة:

المحرم: لحرمتك؛ **ورجب:** لعبادتك؛ **وشعبان:** لتشعب الخير فيه لك؛ **ورمضان:** لرمض ذنوبك.

واختار من الصحابة أربعة:

أبا بكر: مصدقك؛ **وعمر:** مظهر دينك؛ **وعثمان:** فاتح أمصارك

؛ **وعليًّا**: مبارز الكفار عن رسولك.

واختار من الأقوال أربعة:

سبحان الله: غراس جنتك؛ **والحمد لله**: تمام نعمتك؛ **ولا إله إلا الله**: أصل توحيدك، **والله أكبر**: افتتاح صلاتك.

واختار من الجنان أربعة:

الفردوس: دار ضيافتك؛ **وجنة المأوى**: دار قرارك؛ **وجنة عدن**: دار إقامتك؛ **وجنة النعيم**: دار ثوابك [١].

***

فضل الخلفاء الراشدين...

* عن حماد بن سلمة، قال: قال: أيوب:

* من أحبَّ أبا بكر؛ فقد أقام الدين.

* ومن أحب عمر؛ فقد أوضح السبيل.

* ومن أحب عثمان؛ فقد استضاء بنور الله.

* ومن أحب عليًّا؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى.

* ومن قال في أصحاب محمد ﷺ بالحسنى، فقد برئ من النفاق[٢].

***

فضل معاوية وأصحاب رسول الله ﷺ...

* نقل أبو علي الغساني الجياني: أن عبد الله بن المبارك سئل: أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبد العزيز؟

فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة، صلَّى معاوية خلف رسول الله ﷺ، فقال: «**سمع**

---

(1) مختصر المحاسن المجتمعة، للإمام أبي هريرة الصفوري ص ٢٠٨.

(2) كتاب الورع، للإمام أحمد بن حنبل ص ٤٨.

الله لمن حمده».

فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا؟[١].

***

خلافة الصديق – رضي الله عنه–...

* أخرج ابن عدي، عن أبي بكر بن عياش، قال:

قال لي الرشيد: يا أبا بكر، كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق؟

قلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله وسكت رسوله، وسكت المؤمنون.

قال: والله ما زدتني إلا غمًّا.

قال: يا أمير المؤمنين، مرض النبي ﷺ ثمانية أيام، فدخل عليه بلال،

فقال: يا رسول الله من يصلي بالناس؟

قال: «**مر أبا بكر يصلِّي بالناس**».

فصلَّى أبو بكر بالناس ثمانية أيام، والوحي يترل: فسكت رسول الله ﷺ لسكوت الله، سكت المؤمنون لسكوت رسول الله ﷺ.

فأعجبه، فقال: بارك الله فيك [٢].

***

فضل أبي بكر – رضي الله عنه –...

* قال تعالى: **﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾** [التوبة: ٤٠].

دلت الآية على فضل أبي بكر – رضي الله عنه – من وجوه:

الأول: أن محمدًا رسول الله ﷺ إنما ذهب إلى الغار للخوف الشديد، فلو لم يعلم صدقه ونصيحته لما صحبه.

---

(1) وفيات الأعيان ٣/٣٣.

(2) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ٦٥.

الثاني: أن ذلك من الله – تعالى –، فلولا أن الله أمره بصحبة أبي بكر لما صحبه.

الثالث: أن الكل تخلفوا عن رسول الله ﷺ سوى أبي بكر، فإنه لم يتخلف عنه ﷺ في ذلك الخوف الشديد.

الرابع: أنه كان الثاني بعد الرسول ﷺ في الإسلام؛ لأنه أول من أسلم، وفي الغار؛ لأنه لم يكن معه غيره، وكان يقف خلفه أينما كان، ولما مرض الرسول ﷺ، قام مقامه في الإمامة، فكان ثاني اثنين له، ولما مات – رضي الله عنه – دفن إلى جنبه، فكان ثانيه في جميع أحواله أولًا وآخرًا.

الخامس: أثبت الله – تعالى – الصحبة لأبي بكر – رضي الله عنه – بقوله تعالى: **﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾**، فمن أنكرها؛ فقد كفر، كما نقله الرازي، وأقرَّه.

***

يوم وليلة من أبي بكر خير من عمر وآله...

* كان أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – خطيبًا بالبصرة، يبدأ بذكر عمر في الخطبة قبل أبي بكر أيام خلافته. فقال له رجل في ذلك، فشكاه أبو موسى إلى عمر – رضي الله عنه – فطلبه عمر – رضي الله عنه.

وقال: ما أغضب أميرك عليك؟

فأخبره الرجل بتأخر ذكر أبي بكر عن عمر –رضي الله عنهما– في الخطبة، فبكى عمر –رضي الله عنه–.

وقال: والله أنت أوفق منه وأصوب، والله ليوم وليلة من أبي بكر خير من عمر وآل عمر.

أما اليوم: فإن النبي ﷺ لما قبض، واستُخلف أبو بكر – رضي الله عنه – رجع من رجع من الناس إلى الكفر، فقلت له:

يا خليفة رسول الله، أرفق بالناس.

فقال: هيهات هيهات، مات رسول الله ﷺ وانقرض الوحي، والله لأضربنهم بسيفي هذا ما بقي في يدي منه شيء، إن منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسوله الله ﷺ.

وأما الليلة: فإنه لما خرج مع النبي ﷺ إلى الغار، جعل يمشي طورًا عن يمينه، وطورًا عن شماله، وطورًا أمامه، وطورًا من خلفه، فقال له النبي ﷺ: «**ما هذا من فعالك يا أبا بكر؟**».

قال: أذكر الرصد: فأكون أمامك، وأذكر الطلب: فأكون خلفك، وأحفظ الطريق يمينًا وشمالًا.

فقال: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾[١].

***

المعية المشتركة...

* فإن قيل لما ظهر من أبي بكر الخوف والحزن؛ قال له النبي ﷺ: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

فشرك المعية بينه وبين أبي بكر - رضي الله عنه - بخلاف موسى، عليه السلام، فإنه خص المعية بنفسه، فقال: ﴿**كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: ٦٢].

قيل: لأن عناية الله بأبي بكر أكثر من عنايته بقوم موسى - عليه السلام -[٢].

***

---

(1) مختصر المحاسن المجتمعة، للإمام أبي هريرة الصفوري ص ٤٥.
(2) مختصر المحاسن المجتمعة، للإمام أبي هريرة الصفوري ص ١٠١.

أصدق الناس فراسة...

* قال في (مجتمع الأحباب):

أصدق الناس فراسة الصديق – رضي الله عنه – في عهده بالخلافة إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –.

والعزيز في قوله لامرأته عن يوسف – عليه السلام –: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاه﴾ [يوسف: ٢١].

وابنة شعيب –عليه السلام– في قولها لأبيها عن موسى عليه السلام: **﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾** [القصص: ٢٦].

وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون؛ حيث قالت عن موسى –عليه السلام–: **﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾** [القصص: ٩].

***

جواب الصديق في مادحه...

* قال النووي – رحمه الله تعالى –:

كان أبو بكر – رضي الله عنه – رذا مدح يقول:

اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤخذني بما يقولون [(١)].

***

الظلمات الخمس وسرجها...

* قال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه–:

الظلمات خمس، ولكل واحدة سراج:

* فالذنوب ظلمة وسراجها التوبة.

* والقبر ظلمة، وسراجه الصلاة.

([1]) المرجع السابق ص ١٠١.

* والميزان ظلمة، وسراجه لا إله إلا الله.

* والصراط ظلمة، وسراجه اليقين.

* والآخرة ظلمة، وسراجها العمل الصالح (١).

***

دفع ثمن الجنة مرتين...

* قال أبو هريرة - رضي الله عنه -:

اشترى عثمان الجنة من النبي ﷺ مرتين؛ حين حفر بئر رومة، وحين جهز جيش العسرة (٢).

***

عشر اختبأها عثمان - رضي الله عنه - عند ربه ...

* قال عثمان بن عفان - رضي الله عنه -:

لقد اختبأت عند ربي عشرًا:

* إني لرابع أربعة في الإسلام.

* وجهزت جيش العسرة.

* وانكحني رسول الله ابنته، ثم توفيت، فأنكحني ابنته الأخرى.

* وما تغنيت.

* ولا تمنيت.

* ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ.

* وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن لا يكون عندي شيء، فأعتقها بعد ذلك.

* ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط.

---

(1) المرجع السابق ص ١٠١.

(2) المرجع السابق ص ١٤٨.

* ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام قط.
* ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ [(١)].

***

طرفة لغوية ...

* كان هناك رجل معروف بخفة الظل، وكثرة المزاح.

وفي يوم من الأيام ذهب لزيارة صديق له، وكان يعيش مع أخيه عالِم اللغة والنحو.

وعندما طرق الباب، ردَّ عليه عالم اللغة،

فقال له وهو يخشى أن يخطئ في سؤاله:

أخاك... أخيك ... أخوك موجود؟

فأجابه متهكمًا:

لا ... لي .. لو ليس هنا.

***

عز هذه الأمة بالإسلام...

* خرج عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – إلى الشام ومعه أبو عبيدة عامر بن الجراح فأتيا على مخاضة – وعمر على نقاة له – فنزل وخلع خفيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض في الماء فقال له أبو عبيدة:

يا أمير المؤمنين: أأنت تفعل هذا؟! ما يسرّني أن أهل البلد استشرفوك.

فقال عمر: أوه! لو قال هذا غيرك يا أبا عبيدة – لجعلته نكالًا لأمة محمد! إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله أذلنا الله!

***

([1]) تاريخ الخلفاء، للسيوطي ص ١٦١ – ١٦٢.

صلاح الدين ...؟؟!

* بعد معركة حطين أراد صلاح الدين الأيوبي أن يخلد إلى شيء من الراحة بعد التعب الشديد الذي عانى منه، لكن جاءته رسالة من أسير دمشقي في القدس، هذه الرسالة هي شكوى من المسجد الأقصى إلى المجاهد العظيم صلاح الدين الأيوبي وهي:

يـــــا أيهـــــا الملــــــك الـــــذي لمعـــــالم الـــــصُّلبان نكـــــس

جـــــاءت إليـــــك ظلامـــــة تـــسعى مـــن البيـــت المقـــدس

كـــــل المـــــساجد طُهـــــرت وأنـــا علـــى شـــرفي مـــدنس

فسار - رحمه الله - من فوره وحاصر القدس الشريف واسترجعها، بعد معارك فاصلة.

***

الرجل السخي ...

* في عهد الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أصاب الناس قحط وشدة، وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل، محملة أصنف الطعام واللباس قد حلت لعثمان - رضي الله عنه - في أرض المدينة، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة، فقال لهم: كم تعطوني ربحًا؟ ... قالوا: خمسة في المائة، قال: إني وجدت من يعطيني أكثر فقالوا: ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح.

فقال لهم: إني وجدت من يعطين على الدرهم سبعمائة فأكثر، إني وجدت الله - سبحانه - يقول: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ**

﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

هل عندكم يا معشر التجار زيادة؟

إني أشهدكم – يا معشر التجار – أن القافلة وما فيها من بر ودقيق وزيت وسمن ولباس قد وهبتها لفقراء المدينة، وإنها لصدقة على الفقراء من المسلمين.

***

لا أجرو ولا وزر ...

* قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: لما طعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – دخلت عليه فقلت له:

أبشر يا أمير المؤمنين، فإن الله قد مصَّر بك الأمصار، ودفع بك النفاق وأفشى بك الرزق.

قال: أفي الإمارة تثني عليَّ يا ابن عباس؟

فقلت: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منه كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر.

***

بين الدعاء والإجابة...

* قال علي بن أبي طالب في وصية لولده الحسن – رضي الله عنهما –: اعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء وضمن الإجابة، وأمرك أن تسأله فيعطيك، وتطلب إليه فيرضيك، وهو رحيم لم يجعل بينك وبينه حجابًا، و لم يلجئك إلى من تشفع به إليه.

و لم يمنعك إن اسأت التوبة، و لم يعاجلك بالنقمة، و لم يحرمك من

رحمته، و لم يسدَّ عليك باب التوبة، وجعل توبتك التروع عن الذنب، وجعل سيئتك واحدة وجعل حسنتك عشرًا.

إذا ناديته أجابك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وشكوت إليه همومك، واستعنته على أمورك، وسألته من خزائن رحمته التي لا يقدر على إعطائها غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان، وسعة الرزق وتمام النعمة، فألحح في المسألة، فبالدعاء تفتح أبواب الرحمة.

ولا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية، فربما أُخرت الإجابة لتطول مسألة السائل، فيعظم أجره، ويعطى سؤله، وربما ذخر ذلك له في الآخرة، فيعطى أجر تعبده، ولا يفعل بعبده إلا ما هو خير له في العاجلة والآجلة، ولكن لا يجد لطفه أحد، ولا يعرف دقائق تدبيره إلا المصطفون، ولتكن مسألتك لما يبقى ويدوم في صلاح دنياك وتسهيل أمرك وشمول عافيتك، فإنه قريب مجيب.

***

إخلاص النية...

* كتب عمر بن الخطاب إلى موسى الأشعري – رضي الله عنهما–:

من خلصت نيته كفاه الله – تعالى – ما بينه وبين الناس، ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله – عز وجل – فما ظنك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته.

***

ثمانية تطلبك كل يوم ...

* قيل للإمام الشافعي – رحمه الله تعالى –: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت تطلبني ثمانية:

* الله – تعالى – بالفرض.
* ورسوله ﷺ بالسنة.
* والدهر بصروفه.
* ولعيال بقوتهم.
* الحفظة بما ينطق لساني.
* والشيطان بالمعاصي.
* والنفس بالشهوات.
* وملك الموت بقبض روحي.

***

القبر وساكنه...

* قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – لرجل من جلسائه: أبا فلان لقد أرقت الليلة تفكرًا! قال: فيم يا أمير المؤمنين؟

قال: في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيت تجول فيه الهوام.

***

قول في الصديق...

* قال جعفر بن محمد:

أثقل إخواني عليَّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي [1].

***

([1]) مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة ص ١٠٠.

ستر المسلم ...

* عن الشعبي أن رجلًا أتى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: إن لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية، فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنا الإسلام، فأسلمت، فلما أسلمت أصابها حدٌّ من حدود الله – تعالى–، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها، فأدركناها، وقد قطعت بعض أوداجها، فداويناها، حتى برئت، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة، وهي تخطب إلى قوم، فأخبرتهم من شأنها بالذي كان، فقال عمر: أتعمد إلى ما ستر الله فتبديه؟ والله! لئن أخبرت بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالًا لأهل الأمصار، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة [١].

***

رُدَّ جاريتك واستر عليها...

* عن صالح بن كرز أنه جاء بجارية له زنت إلى الحكم بن أيوب، قال: فبينما أنا جالس إذا جاء أنس بن مالك – رضي الله عنه – فجلس، فقال: يا صالح، ما هذه الجارية معك؟

قلت: جارية لي بغت فأردت أن أرفعها إلى الإمام ليقيم عليها الحد.

فقال: لا تفعل رد جاريتك، واتق الله واستر عليها.

قلت: ما أنا بفاعل.

قال: لا تفعل، وأطعني.

فلم يزل يراجعني حتى رددتها [٢].

***

(1) حياة الصحابة – عن كتر العمال ٢/٤٦٠.
(2) حياة الصحابة – عن كتر العمال ٢/٤٦١.

من ستر مسلمًا فكأنما أحياه...

* عن دخير أبي الهيثم كاتب عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال:

قلت: لعقبة بن عامر: إن لنا جيرانًا يشربون الخمر: وأنا داع لهم الشُّرَط ليأخذوهم.

فقال عقبة: ويحك لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر عورة فكأنما استحيا موءودة في قبرها**»[١][٢].

***

ما لي وفساق دمشق...

* عن بلال بن سعد الأشعري، أن معاوية – رضي الله عنهما – كتب إلى أبي الدرداء – رضي الله عنه –:

اكتب إلى فساق دمشق.

فقال: ما لي وفساق دمشق، ومن أين أعرفهم؟!

فقال ابنه بلال: أنا أكتبهم، فكتبهم.

قال: من أين علمت؟ ما عرفت أنهم فساق إلا وأنت منهم، ابدأ بنفسك ولم يرسل بأسمائهم[٣].

***

الصدق في أوصاف الخاطب...

* خطب بلال على أخيه امرأة من بني حِسْلٍ من قريش، فقال:

نحن من قد عرفتم؛ كنا عبدين فأعتقنا الله، وكنا ضالِّين فهدانا الله، وفقيرين فأغنانا الله، وأنا أخطب على أخي خالد فلانة، فإن تُنكحوه فالحمد

---

(1) رواه ابن حبان والبيهقي، ولفظه: «عورة مؤمن ...».

(2) حياة الصحابة – عن الترغيب: ٤٦٢/٢.

(3) حياة الصحابة – عن البخاري في الأدب ٤٦٢/٢.

لله، وإن تردوه؛ فالله أكبر.

فأقبل بعضهم على بعض، فقالوا:

هو بلال، وليس مثله يدفع، فزوَّجوا أخاه.

فلما انصرفا؛ فقال خالد لبلال:

يغفر الله لك، ألا ذكرت سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ!

قال بلال: مه! صدقتُ فأنكحك الصدق [١].

***

قصة الرجل المجادل...

* في يوم من الأيام، ذهب أحد المجادلين إلى الإمام الشافعي، وقال له: كيف يكون إبليس مخلوقًا من النار ويعذبه الله بالنار؟!

ففكر الإمام الشافعي قليلًا، ثم أحضر قطعة من الطين الجاف، وقذف بها الرجل، فظهرت على وجهه علامات الألم والغضب، فقال له: هل أوجعتك؟ قال نعم، أوجعتني.

فقال الشافعي: كيف تكون مخلوقًا من الطين ويوجعك الطين؟!

فلم يرد الرجل وفهم ما قصده الإمام الشافعي وأدرك أن الشيطان كذلك: خلقه الله – تعالى – من نار، وسوف يعذبه بالنار.

***

الصدق منجاة...

* كان ربيع بن خراش لا يكذب قط، وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج فطلبهما، وقد اختفيا، فقيل للحجاج:

إن أباهم لايكذب قط، ولو أرسلت إليه، فسألته عنهما –فأرسل إليه،

---

(1) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٤/٧٣.

فقال له:

أين ابناك؟

قال: هما في البيت.

قال: قد عفونا عنهما لصدقك.

***

لا يكذب المرء...

لا يكـــذب المـــرء إلا مـــن مهانتـــه
أوفعلـــه لـــسوء أو مـــن قلـــة الأدب

لـــبعض جيفـــة كلـــب خـــير رائحـــة
مـــن كذبـــة المـــرء في جـــد وفي لعـــب

***

عليك بالصدق...

* قال أحد الصالحين، عليك بالصدق فما السيف القاطع في كف الرجل الشجاع بأعز من الصدق، والصدق عز وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذل وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اهم بالصدق.

***

أوائل...

* أول من خرج للهجرة إلى الحبشة هو عثمان بن عفان، ومعه زوجته رقى بنت رسول الله ﷺ.

* أول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة مسجد بني زريق.

* أول من هاجر إلى المدينة هو مصعب بن عمير وقيل أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

* أول من صلَّى الجمعة بالناس في المدينة هو أسعد بن زرارة.

***

ساعات الليل ...

* الشفق – الغسق – العتمة – السرفة – الفحمة – الذلة – الزلفة – البهرة – السحر – الفجر – الصبح – الصباح.

***

ذاك التقى ....

*

خـــــل الـــــذنوب صـــــغيرها
وكبيرهـــــــا ذاك التُقـــــــى
واصـــــنع كمـــــاش فـــــوق أرض
الـــــشوك يحـــــذر مـــــا يـــــرى
لا تحقـــــــرن صـــــــغيرة
إن الجبـــــال مـــــن الحـــــصى

***

سرعة الحيوانات...

* تفر الحيوانات هاربة عندما تشعر بالخطر. وقد تعدوا بأقصى سرعتها للنجاة من الموت والهلاك... فسرعة الفيل حوالي ٣٠ كيلومترًا في الساعة، أما الجمل فيركض بسرعة ١٠ كيلومترات في الساعة تقريبًا والكنغر يقفز بسرعة ٢٠ كيلو مترًا في الساعة تقريبًا.

***

مُسمَّيات الأيام...

* يوم مفقود وهو أمس، ويوم مشهود وهو اليوم، ويوم مولود وهو غدًا، ويوم موعود وهو الموت، ويوم ممدود وهو يوم القيامة.

***

أوائل...

* أول سيف ملكه الرسول ﷺ وقد ورثه عن أبيه كان اسمه مأثور.

* أول من أسلم من ملوك العجم، وأول أمير في الإسلام على اليمن هو باذان بن ساسان.

* كان عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب أول من فطر جيرانه في رمضان، وأول من وضع الموائد في الطرق يأكل منها الصائمون.

***

ثلاثة جفون...

* يُقال إن للطير ثلاثة جفون منها جفنان كالإنسان، وأما الثالث فيسمى الغشاء الرامش، وهو جفن شفاف يحمي العين من الهواء والضوء القوي. وحركة هذا الجفن هي في العين اليمنى من اليمين إلى الداخل وفي العين اليسرى من اليسار إلى الداخل، فسبحان الخالق الذي أبدع كل شيء.

***

التمر...

* ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**من تصبح بسبع تمرات – وفي لفظ – من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر**» وثبت عنه أنه قال: «**بيت لا تمر فيه جياع أهله**».

فهو مقو للكبد، ويبري من خشونة الحلق، وهو من أكثر المواد تغذية للبدن، وكذلك فإن أكله على الريق يقتل الدود، وهو فاكهة ودواء وشراب وحلوى.

ويسمى التمر أحيانًا بالمنجم لكثرة ما يحتويه من العناصر المعدنية من الفسفور والكالسيوم والماغنسيوم والحديد، والصوديوم، والبوتاسيوم،

والكبريت والكلور.

ويحتوي التمر كذلك على الفيتامينات مثل فيتامين (أ) و(ب ١) و(ب ٢)، و(د) فضلًا عن السكريات السهلة بسيطة التركيب.

***

عجائب...

* إن الضفدعة تتنفس عن طريق الجلد والفم والرئة.

* الأرانب تنام مفتوحة العين.

* إن الفئران لا تحب رائحة النعناع.

***

لغويات...

* **في الأطعمة:**

طعام الضيف: (القرى) ... وطعام الدعوة: (المأدبة) وطعام الزائر: (التحفة) وطعام العرس: (الوليمة) والطعام عند أسبوع المولود: (العقيقة) وطعام الختان: (العزيمة) وطعام المأتم: (الوضيمة) وطعام القادم من السفر: (النقيعة) وطعام البناء: (الوكيرة).

***

من أجدب انتجع...

* يقال إن صعصعة بن صوجان كان يأكل مع معاوية فجعل معاوية يأكل من دجاجة بين يديه، فمد صعصعة يده وجذب الدجاجة، فقال له معاوية: أنتجعت!!

فقال: من أجدع انتجع.

***

جواب مسكت...

* لقي غلام من العرب أبا العلاء المعري فقال له:

من أنت يا شيخ؟

قال: أنا أبو العلاء المعري.

فقال الغلام: أهلًا بالشاعر الفحل: أنت القائل في شعرك:

وإني وإن كنـــــتُ الأخـــــير زمانـــــه

لآت لمـــــا لم تـــــستطعه الأوائـــــل

قال أبو العلاء: أنا الذي قلت هذا، ولماذا؟

فقال الغلام: قول طيب وثقة في النفس، ولكن الأوائل قد وضعوا (٢٨) حرفًا للهجاء فهل لك أن تزيد عليهم حرفًا واحدًا؟

فسكت أبو العلاء، وقال والله ما عهدت فيَّ سكوتًا كهذا السكوت.

***

عدو يخاف السواك ....

* حكي أن جيشًا من جيوش المسلمين كان غازيًا في سبيل الله، ويحارب الأعداء، كان ينهزم، وقرب منه العدو، فبحثوا عن أسباب الهزيمة والتقهقر، فأجاب صالحوهم: من عدم السواك، وما كان عندهم، فجاء الجند إلى جريد النخل فقطعوا ليأخذوا من السواك، فرآهم العدو فدخل قلبه العرب والفزع ودب في صفوفه الخوف والوجل، ونادى بالويل والهلاك، وقالوا: يا ويلهم يأكلون الأشجار وفروا هاربين.

***

أوائل...

* أول فرس ملكه الرسول ﷺ كان اسمه السكب.

* أول من بنى مسجدًا في مصر هو عمرو بن العاص.

* أول لواء عقده الرسول ﷺ كان في رضمان بقيادة حمزة –رضي الله عنه–.

* أول من أمر بترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية هو أبو جعفر المنصور.

***

هذا هو الشرف...

* سُئل بعض العلماء بم شرف الإنسان أفبتعاطي ألوان الطعام؟ قال: كلا، فالخنزير أكثر أكلًا منه، قيل أفابلباس والزينة؟ قال: كلا فالطاووس أجمل زينة منه، قيل أفبغلبة؟ قال: كلا، فالأسد أشد قوة منه، قيل: أفبعظم الجثة؟ قال: كلا فالفيل أعظم منه، قيل: فماذا؟ قال: بالعلم والخلق الجميل.

***

الأخلاء ثلاثة ...

* قال حكيم: للمرء ثلاثة أخلاء خليل يقول: أنا معك حتى تموت وهو المال، والخليل الثاني يقول: أنا معك حتى باب القبر وهو الولد... والخليل الثالث يقول: أنا معك حيًّا وميتًا وهو العمل.

***

اضرب عنقي....

* بينما كان عبد الله بن جعفر راكبًا إذ تعرض له أعرابي وأمسك بعنان فرسه وقال: يا أيها الأمير، سألتك بالله أن تضرب عنقي، فقال له الأمير: أمعتوه أنت؟

فقال الأعرابي: لا، قال الأمير: فما خطبك أيها الأعرابي؟

فقال: لي خصم سو ليس لي به طاقة، فقال له الأمير: ومن خصمك هذا؟ فقال له: الفقر. فالتفت إلى مرءوس له وقال: ادفع إليه ألف دينار، ثم قال له: خذها ونحن مسئولون، ولكن إذا عاد إليك فائتنا فإنا منصفوك منه، فقال الأعرابي: أطال المولى بقاؤك.... إن معي من جودك ما أدحض به الحجة بقية عمري.

***

كثرة الضحك...

* قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –:

من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن كثر مزاحه استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

***

حبُّ الدُّنيا رأس كل خطيئة....

*قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في كتابه (الفوائد):

كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه وخبره وإلزامه، لأن أحكام الرب – سبحانه – كثيرًا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشهوات، فإنه لا تتم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه.

فإذا كان العالم والحاكم محبَّين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضادُه من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب، وينطمس وجه الحق وإن كان الحق

ظاهرًا لا خفاء به، ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته، وقال: لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال الله: **﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾** [الأعراف:ـــ ١٦٩].

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى من علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لن، وإن عرض لهم عرض آخر أخذوه.

فهم مصرون على ذلك، ذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

***

القرآن نور الليل المظلم...

* عن جندب البجلي – رضي الله عنه – قال:

اتقوا الله، واقرؤوا القرآن، فإنه نور الليل المظلم، فإذا نزل البلاء فاجعلوا أموالكم دون أنفسهم، فإذا أنزل البلاء فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أن الخائب من خاب دينه، والهالك من هلك دينه.

ألا لا فقر بعد الجنة، ولاغنى بعد النار، لأن النار لا يفكُّ أسيرها، ولا يبرأ حديرها، ولا يطفأ حريقها، وإنه ليحال بين الجنة وبين المسلم، بملء كف دم أصابه من أخيه المسلم، كلما ذهب ليدخل من باب من أبوابها وجدها ترد عنها.

واعلموا أن الآدمي إذا مات ودفن لأنتن أول شيء منه بطنه، فلا تجعلوا مع النتن خبثًا، واتقوا الله في أموالكم والدماء فاجتنبوها.

***

من ذكاء العرب...

* أسرت بنو شيبان، رجلًا من بني العنبر، فقال لهم: أرسل إلى أهلي ليفتدوني.

قالوا: ولا تكلم الرسول إلا بين أيدينا.

فجاءوه برسول، فقال له: ائت قومي، فقل لهم: إن الشجر قد أورق، وإن النساء قد اشتكت.

ثم قال له: أتعقل ما أقول لك؟

قال: نعم أعقل.

قال: فما هذا؟ وأشار بيده.

قال: هذا الليل.

قال: أراك تعقل، انطلق لأهلي، فقل لهم: عروا جملي الأصهب، واركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثًا عن أمري.

فأتاهم الرسول، فأخبرهم، فأرسلوا إلى حارث، فقص عليه القصة، فلما خلا معهم، قال لهم:

أما قوله: (إن الشجر قد أورق)، فإنه يريد أن القوم قد تسلحوا.

وقوله: (إن النساء قد اشتكت)، فإنه يريد أنها قد اتخذت الشكاء للغزو، وهي أسقية – ويقال للسقاء الصغير شكوة...

وقوله: (هذا الليل) يريد أنهم يأتونكم مثل الليل أو في الليل.

وقوله: (اركبوا نقاتي الحمراء) يريد اركبوا الدهناء.

قال: فلما قال لهم ذلك، تحولوا من مكانهم، فأتاهم القوم، فلم يجدوا منهم واحدًا [1].

من ذكاء إياس...

---

(1) عيون الأخبار، لابن قتيبة ١/١٩٤.

* سمع إياس بن معاوية يهوديًّا يقول:

ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحْدثون.

فقال له إياس: أفكل ما تأكله تحدثه؟

قال: لا، لأن الله – تعالى – يجعله غذاء.

قال: فلم تنكر أن الله – تعالى – يجعل كل ما يأكله أهل الجنة غذاء؟[1].

***

نصيحة ...

* قال الربيع بن يونس:

رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء، وهو يقول:

اتق الله، ولا ترعي أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك، ثم هددني أن تغرقني في الفرات أوتلي الحكم لاخترت أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك، ولا أصلح لذلك.

فقال له: كذبت أنت أصلح.

فقال له: قد حكمت لي على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضيًا على أمانتك وهو كذاب؟[2].

***

حسن التخلص...

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

* روي أن الحجاج قال لأخي قطري بن الفجاءة: أقتلنك.

---

(1) وفيات الأعيان، لابن خلكان ١/٢٤٨.

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/٤٠٦.

فقال: لم ذلك؟

قال: لخروج أخيك.

قال: فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي.

قال: هاته.

قال: فمعي ما هو أوكد منه.

قال: ما هو؟

قال: كتاب الله – عز وجل–، حيث يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥]، فعجب منه وخلى سبيله [1].

***

حسن التخلص وآدب الصحبة ....

* حكي عن عبد العزيز بن الفضل، قال:

خرج القاضي أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، وأبو بكر محمد بن داود الظاهري وأبو عبد الله نقطويه إلى وليمه دعوا لها، فأفضى بهم الطريق إلى مكان ضيق، فأراد كل واحد منهم صاحبه أن يتقدم عليه، فقال ابن سريج:

ضيق الطريق يورث سوء الأدب.

وقال أبو داود: لكنه يعرِّف مقادير الرجال.

فقال نفطويه: إذا استحكمت المودة بطلت التكاليف [2].

***

ظلمات القبور...

* خطب أبو بكر –رضي الله عنه – فقال:

أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن

---

(1) وفيات الأعيان لابن خلكان ٩٥/٤.

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٨/١.

تستغفروه وإنه كان غفارًا، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله فربكم أطعتم، وحقه وحقكم حفظتم، فاعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم، واجعلوها نوافل بين أيديكم حتى تستوفوا سلفكم، وضرائبكم حين فقركم وحاجتكم، ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس وأين هم اليوم؟!

أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها! قد نُسوا ونُسي ذكرهم فهم اليوم بلا شيء، فتلك بيوتهم خاوية وهم في ظلمات القبور: **﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾** [مريوم: ٩٨].

وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟! قد وُردوا على ما قدموا، فجعلوا للشقاوة أو السعادة، إن الله – عز وجل – ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف عنه سوءًا إلا بطاعته واتباع أمره، وإنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.

***

الدنيا والآخرة...

* قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: نظرت في هذا الأمر فجعلت إذا أردت الدنيا أضر بالآخرة، وإذا أردت الآخرة أضرُّ بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا فأضروا بالدنيا الفانية.

***

من مفسدات القلوب...

أولًا: التعلق بغير الله –تبارك وتعالى– ... وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به... وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله – عز وجل – بتعلقه غيره .... وقال تعالى: **﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾** [مريم: ٨١-٨٢].

ثانيًا: ركوبه بحر التمني: وهو بحر لا ساحل له... وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم وكما قيل: إن المنى رأس أموال المفاليس... وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان وخيالات المال البهتان... والخيالات الباطلة تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة.

ثالثًا: الطعام: والمفسد له من ذلك نوعان.

أحدهما: ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات وهي نوعان:

محرمات لحق الله: كالميتة والدم ولحم الخنزير... وذي الناب من السباع والمخلب من الطير؛ ومحرمات لحق العباد: كالمسروق والمغصوب والمنهوب وما أخذ بغير رضا صاحبه.

والثاني: ما يفسده بقدره وتعدي حدوده: كالإسراف في الحلال والشبع المفرط يثقله عن الطاعات ويشغله بمزاولة مؤنة بطنه ومحاولتها حتى يظفر بها.

رابعًا: كثرة النوم: فإنه يميت القلب ويثقل البدن ويضيع الوقت ... ويورث الغفلة والكسل ومن النوم المكروه عندهم: النوم ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.

ومن النوم الذي لا ينفع: النوم أول الليل عقب غروب الشمس حتى تذهب فحمة العشاء وكان النبي – عليه الصلاة والسلام – يكرهه .. فهو مكروه شرعًا وطبعًا[1].

***

---

(1) من كتاب مدارج السالكين.

أنواع الرأي المحمود...

النوع الأول: وهو رأي أفقه الأمة، وأبر الأمة قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا وأصحهم قصودًا وأكملهم فطرة، وأتمهم إدراكًا، وأصفاهم أذهانًا، وهو رأي المصطفى – عليه الصلاة والسلام –.

النوع الثاني: الرأي الذي يفسر النصوص ... ويبين وجه الدلالة منها .. ويقررها ويوضح محاسنها، ويسهل طريق الاستنباط منها، وقال عبد الله بن المبارك ليكن الذي تعتمد عليه الأثر. وخذ من الرأي ما يقر لك الحديث، وهذا هو الفهم الذي يختص الله سبحانه وتعالى به من يشاء من عباده.

النوع الثالث: وهو الذي تواطأت عليه الأمة... وتلقاه خلفهم عن سلفهم، فإن ما توطئوا عليه من الرأي لا يكون إلا صوابًا.... وكما قال الرسول – عليه الصلاة والسلام، وفي رؤية ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان: "أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر" فاعتبر – عليه الصلاة والسلام تواطؤ المؤمنين... فالأمة معصومة فيما تواطأت عليه من رواياتها ورؤياها[1].

النوع الرابع: أن يكون بعد طلب علم الواقعة من القرآن... فإن لم يجدها في القرآن وجدها في السنة فإن لم يجدها في السنة وجدها فيما قضى به الخلفاء الراشدون ... فإن لم يجدها فيما قاله واحد من الصحابة اجتهد مراعيًا ضوابط الاجتهاد من له أهليَّة الاجتهاد.

قال بعض أهل العلم:

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
بين النصوص وبين رأي سفيه

---

(1) رواه البخاري.

كـــــلا! ولا نـــــصب الخــــلاف جهالـــــة
بـــــين الرســـــول وبـــــين رأي فقيـــــه
كـــــلا! ولا رد النــــــصوص تعمـــــدًا
حــــذرًا مـــــن التجــــسيم والتـــــشبيه
حاشا النـــصوص مـــن الـــذي رميـــت بـــه
مـــــن فرقـــــة التعطيـــــل والتمويـــــه (١)

***

ذلُّ العبودية...

* إن النفوس فيها مضاهاة للربوبية... وإنما يخلصها من هذه المضاهاة ذل العبودية وهو أربع مراتب:

المرتبة الأولى: وهي مشتركة بين الخلق، وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله، فأهل السموات والأرض جميعًا محتاجون إليه...فقراء إليه، وهو وحده الغني عنهم. وكل أهل السموات والأرض يسألونه، وهو لا يسأل أحدًا.

المرتبة الثانية: ذل الطاعة... والعبودية وهو ذل الاختيار... وهذا خاص بأهل طاعته ... وهو سر العبودية.

المرتبة الثالثة: ذل المحبة، فإن المحب ذليل بالذات، وعلى قدر محبته له يكون ذله فالمحبة أسست على الذلة للمحبوب، وكما قيل:

اخـــــضع وذل لمـــــن تحـــــب فلـــــيس في
حكـــــم الهـــــوى أنـــــف يـــــسأل ويعقـــــد

فقال آخر:

مـــساكين أهـــل الحـــب، حـــتى قبـــورهم
عليـــــه تـــــراب الـــــذل بـــــين المقـــــابر

---

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين ص ٦٣.

المرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية:

فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع: كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم... إذ يذل خوفًا وخشية، ومحبة، .... وإنابة وطاعة، وفقرًا، وفاقة [(١)].

***

أقسام القلوب...

أولًا: قلب خال من الإيمان وجميع الخير ... وهذا قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه.

الثاني: قلب دخله نور الإيمان، وألقى فيه نورًا ولكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف من الهوى.. فللشيطان عليه إقبال وإدبار... وبينه وبين الشيطان سجال.

الثالث: قلب محشو بالإيمان ومليء بالنور الإيماني، وقد انقشعت عنه حجب الهوى والشهوات.... وأقلعت عنه تلك الظلمات... وضوءُه مليء بالإشراق ولو اقترب منه الشيطان لحرقه ... فهو كالسماء التي حرست بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم واحترق.

فليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن... وحراسة الله – تعالى – له أتم من حراسة السماء... والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحي... وفيها أنوار الطاعات... وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان... فيه أنوارها فهو حقيق أن يُحرس ويحفظ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئًا إلا خطفه.

ولهذا قيل لابن عباس – رضي الله عنه–: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها، فقال: وما يصنع الشيطان بالقلب الخرب؟[(٢)].

***

---

(1) كتاب التوبة لابن القيم ص ٣٧.

(2) كتاب الوابل الصيب.

الصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة...

أحدها: علم العبد بقبحها ورذالتها ودنائتها، وأن الله إنما حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل.

السبب الثاني: الحياء من الله سبحانه فإن العبد متى علم ينظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع استحيى من ربه أن يتعرض لمساخطه.

السبب الثالث: مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك، فإن الذنوب تزيل النعم، وقال بعض السلف: أذنبت ذنبًا فحُرمت قيام الليل سنة.

وقال آخر: أذنبت ذنبًا فحُرمت فهم القرآن، وفي مثل هذا قيل:

إذا كنــــــت في نعمـــــة فارعهـــــا

فـــــإن المعاصـــــي تزيـــــل الـــــنعم

السبب الرابع: خوف الله وخشية عقابه وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده والإيمان به، وبكتابه ورسوله.

السبب الخامس: محبة الله، وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه، فإن المحب لمن يحب مطيع.

السبب السادس: شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطها وتضع قدرها.

السبب السابع: قوة العلم بسوء المعصية، وقبح أثرها.

السبب الثامن: قصر الأمل وعلمه بسرعة انتقاله وأنه كمسافر دخل قرية ثم خرج منها.

السبب التاسع: مجانبة الفضول في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس.

السبب العاشر: وهو الجامع لهذه الأسباب كلها: وهو ثبات شجرة الإيمان في القلب [1].

---

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٢٥٨.

*** مراتب المكلفين في الدار الآخرة....**

* المكلفون في الدار الآخرة ثمان عشرة طبقة، فمنها:

الطبقة الأولى: وهي العليا على الإطلاق وهي مرتبة الرسالة ... فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله... وهم المصطفون من عباده الذين سلَّم عليهم في العالمين... قال تعالى: **﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾** [الصافات: ١٨١].

الطبقة الثانية: من عداهم من الرسل على مراتبهم من تفضيلهم بعضهم على بعض.

الطبقة الثالثة: الذين لم يرسلوا إلى أممهم إنما كنت لهم النبوة دون الرسالة.

الطبقة الرابعة: وهم ورثة الرسل وخلفاؤهم في امهم، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة.

الطبقة الخامسة: وهم أئمة العدل وولاته الذين تؤمن بهم السبل ويستقيم بهم العالم.

الطبقة السادسة: المجاهدون في سبيل الله وهم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويوقع بهم بأس أعدائه.

الطبقة السابعة: وهم أهل الإيثار والصدقة والإحسان إلى الناس بأموالهم على اختلاف حاجاتهم.

الطبقة الثامنة: من فتح الله له بابًا من أبواب الخير القاصر على نفسه كالصلاة والحج والعمرة والصوم قراءة القرآن، والاعتكاف، والذكر، ونحوها.. فهذه طبقة أهل الربح، والحظوة أيضًا عند الله.

الطبقة التاسعة: طبقة أهل النجاة، وهم من يؤدي فرائض الله ويترك محارمه.

الطبقة العاشرة: طبقة قوم أسرفوا على أنفسهم، وغشوا كبائر ما نهى الله عنه، ولكن رزقهم الله التوبة النصوح قبل الموت. فماتوا على توبة نصوح،

فهؤلاء ناجون من عذاب الله.

الطبقة الحادية عشر: طبقة قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فعلموا حسنات وكبائر، ولقوا الله مصرين عليها غير تائبين منها... لكن حسناهم أغلب من سيئاهم... فهؤلاء أيضًا ناجون فائزون.

الطبقة الثانية عشر: قوم تساوى حسناهم وسيئاهم... فتقابل أثراهما فتقاوما فمنعتهم حسناهم المساوية من دخول النار وسيئاهم المساوية من دخول الجنة. فهؤلاء هم أهل (الأعراف).

الطبقة الثالثة عشر: طبقة أهل المحنة والبليَّة، نعوذ بالله!... وإن كانت آخرهم إلى عفو وخير... وهم قوم مسلمون خفت موازينهم... ورجحت سيئاهم على حسناهم فغلبتها السيئات... وهم يدخلون النار على مقدار أعمالهم: فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ويدخلون فيها على قدر أعمالهم، ثم يخرجون منها بشفاعة الشافعين.

الطبقة الرابعة عشر: قوم لا طاعة لهم ولا معصية. ولا كفر ولا إيمان... وهؤلاء أصناف:

١- من لم تبلغه الدعوة بحال ولا سمع لها بخبر.

٢- منهم المجنون الذي لا يعقل شيئًا ولا يميز.

٣- منهم الأصم الذي لا يسمع شيئًا أبدًا.

٤- منهم أطفال المشركين الذين ماتوا قبل أن يميزوا شيئًا.

فاختلفت الأمة في حكم هذه الطبقة اختلافًا كثيرًا... والمسألة التي وسعوا لها الكلام هي مسألة أطفال المشركين... أنهم يمتحنون في عرصات القيامة ويرسل إليهم هناك رسول وإلى كل من لم تبلغه الدعوة. فمن أطاع الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار وعلى هذا فيكون بعضهم في الجنة

وبعضهم في النار.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ سئل عن أولاد المشركين، فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» وأما أطفال المسلمين... فقال الإمام أحمد: لا يختلف فيهم أحد يعني أنهم في الجنة.

الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل... وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله.. وهؤلاء المنافقون ... وهم في الدرك الأسفل من النار.

الطبقة السادسة عشر: وهم رؤساء الكفر وأئمة.. ودعاته الذين كفروا وصدوا عباد الله عن الإيمان، وعن الدخول في دينه رغبة ورهبة، فهؤلاء عذابهم مضاعف... ولهم عذابان... عذاب بالكفر وعذاب بصد الناس من الدخول في الإيمان.

الطبقة السابعة عشر: طبقة المقلدين وجهال الكفرة، وأتباعهم وحميرهم الذين هم معهم تبعًا لهم يقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على أسوة بهم.

الطبقة الثامنة عشر: وهم طبقة الجن.. وقد اتفق المسلمون على أن منهم المؤمن والكافر والبر والفاجر. وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا**﴾ [الجن: ١١].

وقيل له في ذلك أنهم: أصناف مختلفة ومذاهب متفرقة [1].

***

من تواضع أبي بكر الصديق...

* من تواضع أبي بكر الصديق رضي الله عنه – أنه لما بويع له بالخلافة أصبح غاديًا إلى السوق على رقبته ثياب يتجر فيها فلقيه عمر وأبو عبيدة

---

(1) كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٣١.

– رضي الله عنهما – فقالا له: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ فقال: إلى السوق فقالا له: ما تصنع وقد وليت أمر المسلمين؟ فقال: من أين أطعم عيالي؟ قالا: انطلق معنا حتى نفرض لك شيئًا، فانطلق معهما إلى المسجد، فوجدوا المهاجرين، والأنصار قد اجتمعوا، فقالا: افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ شيئًا، فقالوا: برداه وإذا أبلاهما وضعهما وأخذ غيرهما، وظهره إذا سافر، ونفقته على أهله مثلما كان ينفق قبل أن يستخلف، قال: نعم رضيت.

***

ذكاء أبي بكر الصديق...

* من ذكاء أبي بكر – رضي الله عنه – ما رواه الحسن – رضي الله عنهما – قال: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من الغار لم يستقبلهما أحد يعرف أبا بكر إلا قال له: من هذا الذي معك يا أبا بكر؟ فيقول: دليل يدلُّني على الطريق، وصدق والله أبو بكر.

***

رقاع البر ورقاع الشكر..

* كان الفضل بن يحيى البرمكي يرسل إلى القاسم البصري مع جوائزه رقاعًا مختومة فيرد هذا برقاع مفتوحة، فلما سأله الفضل في ذلك أجاب قائلًا: إن رقاعك تشتمل على بر، ورقاعي تشتمل على شكر، فأنت تكتم برك وأنا أنشر شكري فكل منا قام بما وجب عليه.

***

هذه دنانيرك وقد طلقت المرأة عليك ...

* روي عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته فرأى رجلًا ملهوفًا مهمومًا يجول في الطرقات فأرسل من أتاه به، فسأله عن حاله فأخبره

الرجل أنه خرج في تجارة، فجمع مالًا وأنه رجع بالمال إلى منزله، فدفعه إلى أهله فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها، ولم تر نقبًا ولا تسليقًا، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة، قال: أفبكرًا تزوجتها؟ قال: لا. قال: فلها ولد من سواك؟ قال: لا. قال: فشابة هي أم مسنة؟ قال: بل حديثة، فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتخذه له حاد الرائحة غريب النوع فدفعها إليه وقال له: تطيب من هذا الطيب فإنه يذهب همك، فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته: ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم فمن مر بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب فليأتني به، وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين فلما شمته بعثت به إلى الرجل الذي كانت تحبه وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت له: تطيب من هذا الطيب فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيب منه الرجل ومر مجتازًا بعض أبواب المدينة فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه فأخذه فأتى به المنصور فقال له المنصور: من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة، وقال: اشتريته، قال: أخبرنا ممن اشتريته فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته فقال له: خذ هذا الرجل إليك فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث يشاء وإن امتنع فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة، فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته فقال: هول عليه وجرده ولا تقومن بضربه حتى تؤامرني فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه أذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها فأعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير فقال له: رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهيئتها أتحكمني في امرأتك، قال: نعم، قال: فهذه دنانيرك وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها.

***

هجر القرآن...

هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

الثاني: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تُحصل العلم.

الثالث: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الرابع: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائه فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به... وكل هذا داخل في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾** [الفرقان: ٣٠].

وكذلك الحرج الذي في الصدور منه، فإنه تارة يكون حرجًا من إنزاله وكونه حقًّا من عند الله، وتارة يكون من جهة المتكلم به أو كونه مخلوقًا من بعض مخلوقاته.

اللهم غيره إن تكلم به، وتارة يكون من جهة كفايته وعدمها وأنه لا يكفي العباد، بل هم محتاجون معه إلى المعقولات أو الآراء أو السياسات، وتارة يكون من جهة دلالته وما أريد به حقائقه المفهومة منه عن الخطاب، وتارة يكون من جهة كون تلك الحقائق وإن كانت مرارة، فهي ثابتة في نفس الأمر أو أوهم أنها مرادة لضرب من المصلحة... فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن، وهم يعلمون ذلك من نفوسهم ويجدونه في صدروهم.. ولا تجد مبتدعًا قط إلا وفي قلبه خرج من الآيات التي تحول بينه وبين إرادته، فتدبر هذا المعنى ثم ارض لنفسك بما تشاء [1].

***

---

(1) كتاب الفوائد ص ١١٢.

هدي الرسول في علاج المصيبة...

* قال الله تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾** [البقرة: ١٥٥: ١٥٧].

ومن هذا نجد أن علاج المصيبة تضمن أصلين إذا تحقق بهما المرء تسلى عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وماله ملك لله، جعله عنده عارية.

الثاني: أن المرجع إلى الله، ولا بد أن يخلف الدنيا، فإذا كانت هذه البداية والنهاية، ففكره فيهما من أعظم علاج هذا الداء...

ومنه أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ومنه أن ربه أبقى له المثل أو أفضل، وادخر له إن صبر ما هو أفضل من المصيبة بأضعاف، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

ومنه إطفاؤها ببرد التأسي، فلينظر عن يمينه وعن شماله، وأن سرور الدنيا أحلام، إن أضحكت قليلًا، أبكت كثيرًا.

ومنه أن يعلم أن الجزء لا يرد، بل يضاعف.

ومنه أن يعلم أن حظه منها ما يحدثه عندها، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط.

ومنه أنه يروج قلبه برجاء الخلف.

ومنه العلم بأن المبتلي أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه لم يبتله ليهلكه، بل ليمتحن إيمانه، وليسمع تضرعه، وليراه طريحًا ببابه.

ومنه أن يعلم أن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، والعكس كذلك [1].

***

---

[1] كتاب مختصر زاد المعاد ص ٢٤٠.

فائدة طبية...

* قال بعض الملوك لطبيبه:

لعلك لا تبقى لي: فصف لي صفة أخذها عنك: فقال: لا تنكح إلا شابة، ولا تأكل من اللحم إلا فتيًّا، ولا تشرب الدواء إلا من علة، ولا تأكل الفاكهة إلا في نضجها، وأجد مضغ الطعام، وإذا أكلت نهارًا فلا بأس أن تنام وإذا أكلت ليلًا فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة ولا تأكل حتى تجوع، ولا تتكارهن على الجماع ولا تحبس البول وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك ولا تأكلن طعامًا وفي معدتك طعام وإياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغه فتعجز معدتك عن هضمه وعليك من كل أسبوع أن تنقي جسمك... وعليك بدخول الحمام فإنه يخرج من الأطباق ما لا تصل الأدوية إلى إخراجه.

***

وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب:

من سره البقاء - فليباكر الغداء وليعجل العشاء ويخفف الرداء، وليقل غشيان النساء.

***

أربعة...

* **أربعة تجلب الرزق:** قيام الليل، وكثرة الاستغفار بالأسحار، وتعاهد الصدقة، والذكر أول النهار وآخره.

* **أربعة تزيد في ماء الوجه بهجة:** المروءة، والوفاء، والكرم، والتقوى.

* **أربعة تقوي البصر:** الجلوس أمام الكعبة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة وتنظيف المجلس.

* **أربعة تزيد في العقل:** ترك الفضول من الكلام، السواك، ومجالس الصالحين ومجالسة العلماء.

* **أربعة تهدم الدين:** الهم، والحزن، والجوع، والسهر.

* **أربعة تمنع الرزق:** نوم الصباح، وقلة الصلاح والكسل، والخيانة.

* **أربعة أشياء تمرض الجسم:** الكلام الكثير، والنوم الكثير، والأكل الكثير، والجماع الكثير[1].

***

حِكَمٌ متفرِّقَة...

* إياك والغفلة عمن جعل لحياتك أجلًا ولأيامك وأنفاسك أمدًا ومن يُغنيك عن كل ما سواه ولا بد لك منه.

* لا تدخل محبة الله في قلب فيه الدنيا إلا كما يدخل الجمل في سم الخياط.

* إذا أحب الله عبدًا اصطنعه لنفسه واجتباه لمحبته واستخلصه لعبادته، فشغل همه به ولسانه بذكره وجوارحه بخدمته.

* الشوق إلى الله ولقائه نسيم يهب على القلب يُروِّح عنه وهج الدنيا.

* خراب القلب من الأمن والغفلة وعماراته من الخشية والذكر.

للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة وثلاثة عالية، فالسافلة: دنيا تتزين له، ونفس تحدثه، وعدو يوسوس له، فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها.

والثلاثة العالية: علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده... والقلوب جوالة في هذه المواطن.

***

([1]) من كتاب الطب النبوي ص ٢٧٦.

* الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج واحد إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها... فلا ترض بالدياثة.

ميــــزت بـــين جمالهـــا وفعالهـــا
فـــإذا الملاحـــة بالقباحـــة لا تفـــي
حلفـــت لنـــا ألا تخـــون عهودنـــا
فكأنهـــا حلفـــت لنـــا ألا تفـــي

***

اختيار الجليس...

* قال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[1].

قال الخطابي في شرحه لهذا الحديث في كتاب العزلة: «معناه لا تدع إلى مؤاكلتك إلا الأتقياء، لأن المؤاكلة توجب الألفة وتجمع بين القلوب، فتوخ أن يكون خلطاؤك وذو الاختصاص بك أهل التقوى».

***

الإخوان...

* قال عمر بن الخطاب: لا تتكلم فيما لا يعنيك، اعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله – عز وجل – ويطيعه، ولا تمش مع الفاجر فيعلمك فجوره، ولا تطلعه على سرك، ولا تشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله – سبحانه وتعالى – .

وقال أيضًا: ما أعطي عبد بعد الإسلام خيرًا من أخ صالح.

* وقال علي بن أبي طالب: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ*وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾

---

(1) رواه أحمد والترمذي وأبو داود.

[الشعراء: ١٠٠-١٠١].

وقال الغزالي في (الإحياء): قال عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام-: «جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله».

* وقال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار خير لك من أن تأكل الخبيص [١] مع الفجار، وأنشد:

وصاحب خيار الناس تنج مسلمًا
وصاحب شرار الناس يومًا فتندما

****

من جمع ست خصال ....

* من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا: من عرف ربه فأطاعه، وعرف شيطانه فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتَّقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

***

أشهد أنك بالإصلاح أحق من أهل الكوفة ...

* كان بالكوفة رجل يقال له مصلح، فبلغه أن بالبصرة رجلًا من المصلحين مقدمًا في شأنه، فسار الكوفي إلى البصرة، فلما قدم عليه قال له: من أنت؟ قال: أنا مصلح جئتك من الكوفة لما بلغني خبرك، فرحب به وأدخله موضعه، وخرج يشتري له ما يأكل، فأتى جبانًا فقال له: أعندك جبن؟ قال: عندي جبن كأنه سمن! فقال في نفسه: لم لا أشتري سمنًا حين هو يضرب به المثل؟! فذهب إلى من يبيع السمن فقال له: أعندك سمن؟

فقال: عندي سمن كأنه زيت! فقال في نفسه: لم لا أشتري زيتًا حين

---

[١] نوع من الحلوى.

هو يضرب به المثل؟! فذهب إلى زيات وقال: أعندك زيت؟ قال: عندي زيت صاف كأنه الماء! فقال في نفسه: لم لا آخذ ماء حين هو يضرب به المثل؟! فرجع إلى بيته، وأخذ صفحة وملأها ماء، وقدمها للضيف مع كسيرات يابسة، وعرفه كيف جرى له، فقال الكوفي: أن أشهد أنك بالإصلاح أحق من أهل الكوفة!!

***

حججت قبل أن تحفر زمزم...

* شهد رجل عند بعض القضاة ضد رجل. فقال المشهود عليه للقاضي: كيف تقبل شهادته ومعه عشرون ألف دينار و لم يؤد فريضة الحج؟ فقال: بل حججت، قال المشهود عليه: أسأله أيها القاضي عن زمزم، فقال الرجل: حججت قبل أن تحفر لم أرها.

***

أحوال الناس في الصلاة...

* ذكر ابن القيم - رحمه الله - في كتابه (الوابل الصيب من الكلم الطيب) أن الناس في الصلاة على مراتب خمسة:

إحداها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي نقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوءها لكن قد ضيع مجاهدة نفسه بالوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار فهو مشغول في مجاهدة عدو لئلا يسرق من صلاته فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق

قلبه مراعاة حدودها لئلا يضيع منها شيء بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه – سبحانه وتعالى – ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له ممتلئًا من محبته وتعظيمه كأنه يراه ويشاهده فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه لأن له نصيبًا ممن جعلت قرة عينه في الصلاة فاستراح بها كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**أرحنا يا بلال بالصلاة**» ويقول: «**جعلت قرة عيني في الصلاة ومن قرت عينه بالصلاة قرت عينه بالله، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات**».

وقال بعض العلماء: يحتاج المصلي إلى أربع خصال حتى ترفع صلاته: حضور قلب، وشهود عقل، وخضوع أركان، وخشوع جوارح، فمن صلى بلا حضور قلب فهو مصلٍّ لاه، ومن صلى بلا شهود عقل فهو مصل ساهٍ، ومن صلى بلا خضوع أركان فهو مصل جافٍ، ومن صلى بلا خشوع الجوارح فهو مصل خاطئ، ومن صلى بهذه الأركان فهو مصل وافٍ.

***

حب الوطن ...!!

* شكت امرأة زوجها واتهمته بأنه لا يوفر لبيتها الزاد فلامه الناس على ذلك، فقال لهم: سلوها أليس في الدار فأر ملازم، فعلام يلزم الفأر الدار إذا لم يكن فيها طعام؟

فأجابت المرأة: والله، ما أقام الفأر في دارك إلا لحب الوطن.

***

شعر...

* قال الشاعر:

إذا شـــئت أن تحيـــا ســـليمًا مـــن الأذى
وذنبـــك مغفـــور وعرضـــك صـــين
لـــسانك لا تـــذكر بـــه عـــورة امـــرئ
فكلـــك عـــورات وللنـــاس ألـــسن

وقال الآخر:

دقـــات قلـــب المـــرء قائلـــة لـــه
إن الحيـــــاة دقـــــائق وثـــــوان
فـــارفع لنفـــسك بعـــد موتـــك ذكرهـــا
فالـــذكر للإنـــسان عمـــر ثـــان

***

قل له صدقت...

* جاء بعض الثقلاء إلى الجاحظ وقال له: سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمني منها، فقال له الجاحظ: لك ما تريد، فقال له الثقيل: إذا قال لي رجل: يا ثقيل الدم ويا خفيف العقل فبماذا أجيبه؟ فقال له الجاحظ: قل له صدقت.

***

القرآن الكريم...

* القرآن حبل الله الممدود وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجته الكبرى، ومحجته الوسطى، وهو الواضح سبيله الراشد دليله الذي من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، به يعلم الجاهل، ويعمل العامل، ويتنبه الساهي، ويتذكر اللاهي، بشير الثواب ونذير العقاب،

وشفاء الصدور وجلاء الأمور، ومن فضائله أنه يقرأ دائمًا ويكتب ويملي ولا يُملُّ.

***

رجال لا تُضرب بهم الأمثال:

* قس بن ساعدة: يضرب به المثل في البلاغة والخطابة فيقال (أبلغ من قس).

* لقمان: يضرب به المثل في الحكمة فيقال: (أحكم من لقمان).

* المُعِيديُّ: يضرب به المثل في القبح فيقال: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه).

* عرقوب: يضرب به المثل في خلف المواعيد فيقال: (مواعيد عرقوب).

* حنين: يضرب به المثل في الرجوع بالخيبة فيقال: (رجع بخفي حنين).

* الشنفرى: يضرب به المثل في سرعة العدو.. فيقال: (أعدى من الشنفرى).

* أشعب: يضرب به المثل في الطمع فيقال: (أطمع من أشعب).

* السمؤال: يضرب به المثل في الوفاء فيقال: (أوفى من السمؤال)

* سنمَّار: يضرب به المثل في مقابلة الإحسان بالإساءة فيقال: (جزاء سنمار).

* زرقاء اليمامة: يضرب بها المثل في قوة البصر فيقال: (أبصر من زرقاء اليمامة).

* الأحنف بن قيس: يضرب به المثل في الحلم فيقال: (أحلم من

الأحنف).

* الكُسَعيُّ: يضرب به المثل في الندم فيقال: (أندم من الكسعي).

* هبنقة: يضرب به المثل في الحمق فيقال: (أحمق من هبنقة).

* حاتم الطائي: يضرب به المثل في الجود والكرم فيقال: (أجود من حاتم).

* سحبان وائل: يضرب به المثل في الفصاحة فيقال: (أفصح من سحبان وائل).

***

السفر...

* تتوقف مشروعية السفر على الغرض منه، وأغراض السفر تعود إلى نوعين: سفر طلب، وسفر هرب.

فالمقصود من سفر الطلب: السفر لأجل تحصيل غرض معين، وطلبًا له، والمقصود سفر الهرب: السفر فرارًا من شيء معين.

ولكل منهما خمسة أقسام بحسب الأحكام الشرعية: (واجب – مستحب – جائز – مكروه – محرم) وتفصيلها كما يلي:

أولًا: سفر الطلب:

أ– الواجب: كالخروج إلى الجهاد الواجب، وحج الفريضة عند القدرة، والسفر لطلب العلم عند تعيُّنه على شخص معين، وطلب الرزق الحلال إن تعذر بأرض، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وكذلك السفر لصلة الرحم المقطوعة، وغير ذلك.

ب– المستحب: كالسفر لطلب العلم غير المتعين، وزيارة الإخوان، وسفر الاعتبار، وغير ذلك.

ج– المباح: كالسفر للتتره والترويح عن النفس، إذا كان في مباح غير

محرم، والتجارة، وطلب الرزق من غير إسراف ولا طغيان.

د- المكروه: كالسفر لأجل الاستكثار من المال، وغير ذلك من الأشياء غير المفيدة للإنسان كالتفرج على مباريات كرة أو غيرها، إذا كانت في بلاد المسلمين.

هـ- المحرم: وهو السفر لأجل غرض محرم، كالسفر إلى بلاد الكفر لمشاهدة مباريات الكرة، أو السفر إلى بلاد تنتشر فيها المعاصي والفواحش بغرض إتيانها بعيدًا عن أعين الرقباء، أو السفر إلى بلاد فيها أضرحة ونحوها بغرض زيارتها على الرغم من النهي الوارد في ذلك.

ثانيًا: سفر الهرب:

أ- الواجب: كالسفر من دار الكفر إلى دار السلام، ومن أرض سادت فيها البدعة إلى أرض تعم فيها السنة.

ب- المستحب: كالسفر من أرض فيها بعض البدع إلى أرض ليس فيها بدع.

ج- المباح: كالسفر من أرض وخمة قد أثر جوها على صحة الإنسان إلى أرض يغلب على ظنه الاستشفاء فيها، كما أذن النبي ﷺ لوفد من عكل وعرينة بالخروج من المدينة التي استوخموها إلى البادية.

د- المكروه: وذلك كالسفر من بلاد ظهر فيها الطاعون مثلًا، وذلك عند من يقول إن نهي النبي ﷺ عن ذلك لكراهة.

هـ- المحرم: كالسفر هربًا من الجهاد المتعين، أو للفرار من وظيفة تعين عليه القيام بها كقضاء البلد، أو نحو ذلك.

وهكذا يتضح أن حكم السفر يتوقف على معرفة الغرض منه، وفي الحديث: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**».

***

من آداب الحسن البصري[1]...

* كان يقول: المرض زكاة البدن، كما أن الصدقة زكاة المال، فكل جسم لا يشتكي كمثل مالي لا يزكي.

* وكان يقول: لولا الصالحون لهلكت الأمة، ولولا العلماء لكان الناس كالبهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضًا، ولولا الحمقى لخربت الدنيا، ولولا الريح لأنتن ما بين السماء والأرض.

* وكان يقول إذا مرت به جنازة: اغدُ فإنا رائحون، أو روحوا فإنا غادون.

* وكان يقول: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وكان يقول: إن كان في الجماعة فضل، فإن في العزلة السلامة.

***

ذكاء أبي حنيفة...

* عن يحيى بن جعفر قال: سمعت أبا حنيفة يقول: احتجت إلى ماء بالبادية، فجاءني أعرابي ومعه قبة من ماء فأبى أن يبيعنيها إلا بخمسة دراهم، فدفعت إليه خمسة دراهم وقبضت القربة، ثم قلت يا أعرابي، ما رأيك في السويق؟ فقال: هات، فأعطيته سويقًا ملتوتًا بالزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثم عطش، فقال: شربة فقلت: بخمسة دراهم، فلم أنقصه من خمسة دراهم على قدح من ماء، فاستردت الخمسة وبقي معي الماء.

***

الغيرة القاتلة...

* قال محمد بن عبدوس في كتاب (الوزراء): إن إبراهيم بن العباس

---

[1] من آداب الشيخ حسن البصري – رحمه الله – للإمام جمال الدين أبي الفرج الجوزي – تحقيق سليمان الحرش.

الصولي، قال:

كنت أكتب لأحمد بن أبي خالد، فدخلت عليه يومًا، فرأيته مطرقًا، مفكرًا، مغمومًا، فسألته عن الخبر.

فأخرج إليَّ رقعة، فإذا فيها أن حظية من أعز جواريه عنده، يخالف إليها وتوطئ فراشه غيره، ويستشهد في الرقعة، بخادمين كانا ثقتين عنده.

وقال لي: دعوت الخادمين، فسألتهما عن ذلك، فأنكرا، فتهددتهما، فأقاما على الإنكار، فضربتهما، وأحضرت لهما آلة العذاب، فاعترفا بكل ما في الرقعة على الجارية، وإني لم أذق أمس ولا اليوم طعامًا، وقد هممت بقتل الجارية.

فوجدت بين يديه مصحفًا، ففتحت لأتفاءل بما يخرج فيه، (فكان أول ما وقعت عيني عليه): **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾** [الحجرات: ٦]، فشككت في صحة الحديث، وأريته ما خرج به الفأل ، وقلت دعني أتلطف في كشف هذا.

قال: افعل.

فخلوت بالخادمين منفردين، ورفقت بأحدهما، فقال: النار ولا العار، وذكر أن امرأة ابن أبي خالد، أعطته ألف دينار، وسألته الشهادة على الجارية، وأحضر لي الكيس مختومًا بخاتم المرأة، وأَمَرَتْهُ أن لا يذكر شيئًا إلا بعد أن يوقع به المكروه، ليكون أثبت للخبر، ودعوت الآخر، فاعترف بمثل ذلك أيضًا.

فبادرت إلى أحمد بالبشارة، فلما وصلت إليه، حتى جاءته رقعة (المرأة) الحرة، تعلمه أن الرقعة الأولى كانت من فعلها، غيرة عليه من الجارية، وإن جميع ما فيها باطل، وأنها حملت الخادمين على ذلك، وأنها تائبة إلى الله

- تعالى - من هذا الفعل وأمثاله.

فجاءت براءة الجارية، من كل وجه، فسر بذلك، وزال عنه ما كان فيه، وأحسن إلى الجارية.

***

يا من بيده مفاتيح الفرج ...

* عن أبي عبد الرحمن الطائي ، قال: أخبرنا أبو سعد البقال، قال: كنت محبوسًا في ديماس الحجاج، ومعنا إبراهيم التيمي، فبات في السجن، فأتى رجل، فقال له: يا أبا إسحاق، في أي شيء حبست؟

فقال: جاء العريف، فتبرأ مني، وقال: إن هذا كثير الصوم والصلاة، وإخال أنه يرى رأي الخوارج.

فإنا لنتحدث مع مغيب الشمس، ومعنا إبراهيم التيمي، إذ دخل علينا رجل السجن، فقلنا: يا عبد الله، ما قصتك، وأمرك؟

فقال: لا أدري، ولكني أخذت في رأي الخوارج؟ والله، إنه لرأي ما رأيته قط، ولا أحببته، ولا أحببت أهله، يا هؤلاء، ادعوا لي بوضوء فدعونا له به، ثم قام فصلى أربع ركعات، ثم قال: اللهم إنك تعلم، أني كنت على إساءتي وظلمي، وإسرافي على نفسي، لم أجعل لك ولدًا، ولا شريكًا، ولا ندًّا، ولا كفؤًا، فإن تعذب فعدل، وإن تعف، فإنك أنت العزيز الحكيم، اللهم إني أسألك يا من لا تغلطه المسائل، ولا يشغله سمع عن سمع ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، أن تجعل لي في ساعتي هذه فرجًا ومخرجًا مما أنا فيه، من حيث أرجو، ومن حيث لا أرجو، وخذ لي بقلب عبدك الحجاج، وسمعه، وبصره، ويده، ورجله، حتى تخرجني في ساعتي هذه، فإن قلبه وناصيته، بيدك، يا رب، يا رب.

قال: وأكثر، فوالذي لا إله غيره، ما انقطع دعاؤه، حتى ضرب باب السجن (وقيل) أين فلان؟

فقام صاحبنا، فقال: يا هؤلاء، إن تكن العافية، فوالله، لا أدع الدعاء لكم، وإن تكن الأخرى، فجمع الله بيننا وبينكم، في مستقر رحمته.

قال: فبلغنا من الغد، أنه خلي سبيله.

***

يا عزيز يا حميد، يا ذا العرش المجيد...

* قال أبو بلج الفزاري:

أتى الحجاج بن يوسف، برجل كان جعل على نفسه، إن ظفر به، أن يقتله، قال: فلما دخل عليه، تكلم بكلام، فخلى سبيله.

فقيل له: أي شيء قلت؟

فقال: قلت: يا عزيز، يا حميد، يا ذا العرش المجيد، اصرف عني ما أطيق، وما لا أطيق، واكفني شر كل جبار عنيد.

***

الذي كفاك الأمس يكفيك غدك...

عن علي بن أبي الطيب، قال: حدثنا ابن الجراح، قال: حدثنا ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال:

بلغني أن بعض الملوك، نفى وزيرًا له، لموجدة وجدها عليه، فاغتم لذلك غمًّا شديدًا، فبينما هو يسير، إذا أنشده رجلُ هذين البيتين.

أحسن الظن بربك عودك
حسنًا أمس وسوى أودك

إن ربًا كان يكفيك الذي
كان بالأمس سيكفيك غدك

فسري عن الوزير، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

***

لا تيأس كأن قد فرج الله...

* عن محمد بن أبي رجاء، مولى بني هاشم قال:

أصابني هم شديد، لأمر كنت فيه، فرفعت مقعدًا لي، كنت جالسًا عليه، فإذا برقعة مكتوبة (فنظرت فيها، فإذا فيها مكتوب):

يـــا صـــاحب الهـــم إن الهـــم منقطـــع
لا تيأســـــنَّ كـــأن قـــد فـــرج الله

قال: فذهب عني ما كنت فيه من الغم، ولم ألبث أن فرج الله عني، فلله الحمد والشكر.

***

الغلط الذي لا يُتلافى...

* يروى أن رجلين أُتي بهما إلى بعض الولاة، وقد ثبت على أحدهما الزندقة، وعلى الآخر شرب الخمر، فسلم الوالي الرجلين إلى بعض أصحابه، وقال له: اضرب عنق هذا، وأومى إلى الزنديق، وحُدَّ هذا، وأومى إلى الشارب.

قال: خذهما.

فلما ذهب بهما ليخرجا، قال شارب الخمر: أيها الأمير، سلمني إلى غير هذا ليحدني، فلست آمن أن يغلط فيضرب عنقي، ويحد صاحبي، والغلط في هذا لا يتلافى.

فضحك منه الأمير: وخلى سبيله، وضرب رقبة الزنديق.

***

لقاء بين الجد الرومي النصراني والحفيد العربي المسلم...

* روى ابن دريد عن أبي حاتم، عن أبي معمر، عن رجل من أهل الكوفة، قال:

كنا مع مسلمة بن عبد المملك، ببلاد الروم، فسبا سبايًا كثيرة، وأقام ببعض المنازل، فعرض السبي على السيف، فقتل خلقًا، حتى عرض عليه شيخ كبير ضعيف، فأمر بقتله.

فقال له: ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلي؟ إن تركتني حيًّا، جئتك بأسيرين من المسلمين شابين.

قال له: ومن لي بذلك؟

قال: إني إذا وعدت وفيت.

قال: لست أثق بك.

فقال له: دعني حتى أطوف في عسكرك، لعلي أعرف من يتكفل بي إلى أن أمضي وأعود أجيء بالأسيرين.

فوكل به من يطوف به، وأمره بالاحتفاظ به، فما زال الشيخ يطوف، ويتصفح الوجوه، حتى مر بفتى من بني كلاب، قائمًا يحس فرسه.

فقال له: يا فتى اضمني للأمير، وقص عليه قصته.

فقال: أفعل، وجاء الفتى إلى مسلمة، فضمنه، فأطلقه مسلمة.

فلما مضى، قال للفتى: أتعرفه؟

قال: لا، والله.

قال: فلم ضمنته؟

قال: رأيته يتصفح الوجوه، فاختارني من بينهم، فكرهت أن أخلف ظنه فيَّ.

فلما كان من الغد، عاد الشيخ، ومعه أسيران شابان من المسلمين، فسلمهما إلى مسلمة، وقال: إن رأى الأمير أن يأذن لهذا الفتى أن يصير معي إلى حصني لأكافئه على فعله.

فقال مسلمة الفتى الكلابي: إن شئت فامض معه.

فلما صر إلى حصنه، قال له: يا فتى، تعلم - والله - إنك ابني؟

قال له: وكيف أكون ابنك، وأنا رجل من العرب مسلم، وأنت رجل من الروم نصراني.

فقال له: أخبرني عن أمك، ما هي؟

قال: رومية.

قال: فإن أصفه لك، فبالله إن صدقت، إلا صدقتني.

قال: أفعل.

فأقبل الرومي، يصف أم التفى، ما خرم من صفتها شيئًا.

فقال له الفتى: هي كذلك، فكيف عرفت أني ابنها؟

قال: بالشبه، وتعارف الأرواح، صدق الفراسة.

ثم أخرج إليه امرأة، فلما رآها الفتى لم يشك فيها أنها أمه، لتقارب الشبه، وخرجت معها عجوز كأنها هي، فأقبلتا تقبلان رأس الفتى، ويديه، وتترشفانه.

فقال له: هذه جدتك، وهذه خالتك.

ثم طلع من حصنه، فدعا بشباب في الصحراء، فأقبلوا فكلمهم بالرومية، فأقبلوا يقبلون رأس الفتى ويديه، فقال: هؤلاء أخوالك، وبنو خالاتك، وبنو عم والدتك.

ثم أخرج إليه حليًّا كثيرًا، وثيابًا فاخرة، وقال: هذا لوالدتك عندنا منذ

سبيت، فخذه معك، وادفعه إليها، فإنها ستعرفه، ثم أعطاه لنفسه مالًا كثرًا، وثيابًا وحليًّا، وحمله على عدة دواب، ألحقه بعكسر مسلمة، وانصرف.

وأقبل الفتى قافلًا حتى دخل إلى مترله فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ أنه لأمه، وتراه أمه، فتبكي، فيقول لها: قد وهبته لك.

فلما كثر عليها، قالت له: يا بني، أسألك بالله، من أي بلد صارت إليكم هذه الثياب، وهل تصف لي أهل هذا الحصن الذي كان فيه هذا؟

فوصف لها الفتى صفة البلد والحصن، ووصف لها أمها وأختها، والرجال الذين رآهم، وهي تبكي وتقلق.

فقال لها: ما يبكيك؟

فقالت: الشيخ والله والدي، والعجوز أمي، وتلك أختي.

فقص عليه الخبر، وأخرج بقية ما كان أنفذه معه أبوها إليها، فدفعه إليها.

***

قد ينتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير...

* عن علي بن هشام، قال: سمعت حامد بن العباس، يقول: ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير، أكثر من منفعته بالكبير، فمن ذلك: أن إسماعيل بن بلبل، لما حبسني، جعلني في يد بواب كان يخدمه قديمًا.

قال: وكان رجلًا حرًّا، فأحسنت إليه، وبررته، وكنت أعتمد على عناية أبي العباس بن الفرات بي، وكان ذلك البواب، لقديم خدمته لإسماعيل، يدخل إلى مجالسه الخاصة، ويقف بين يديه، ولا ينكر عليه ذلك لسالف خدمته.

فصار إليَّ في بعض الليالي، فقال: قد حرد الوزير على ابن الفرات بسببك، وقال له: ما يكسر المال على حامد غيرك، ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته، وسيدعوك الوزير في غد إلى حضرته ويهددك.

فشغل ذلك قلبي، فقلت له: هل عندك من رأي؟

قال: نعم، نكتب رقعة إلى رجل من معامليك تعرف شحه وضيق نفسه، تلتمس منه لعيالك ألف درهم، يقرضك إياها، وتلتمس منه أن يجيبك على ظهر رقعتك، لترجع إليك فإنه لشحه، يردك بعذر، وتحتفظ الرقعة، فإذا طالبتك الوزير أخرجتها له على غير مواطأة، وقلت له: قد أفضت حالي إلى هذا، فلعل ذلك ينفعك.

قال: ففعلت ما قاله، وجاءني الجواب بالرد كما خمنا، فشددت الرقعة معي، فلما كان من الغد، أخرجني الوزير وطالبني، فأخرجت الرقعة، وأقرأته إياها، ورققته، وتكلمت بما أمكن، فاستحيا، وكان ذلك بسبب خفة أمري، وزوال محنتي.

فلما تقلدت في أيام عبيد الله بن سليمان ما تقلدت، سألت عن البواب، فاجتذبته إلى خدمتي، وكنت أجري عليه خمسين دينارًا في كل شهر، وهو باق إلى الآن.

***

جاء الفرج من حيث لا يحتسب ...

* عن علي بن محمد بن سلمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال:

حُدِّثت أن المعتصم أمر أن يبنى حبس في بستان موسى، كان القيم به مسرور مولى الرشيد.

قال: وكنت أرى أعلى هذا البناء من دجلة إذا ركبتها، إذ كان كالبئر

العظيمة، قد حفرت إلى الماء أو قريب منه، ثم بني فيها بناء على هيئة المنارة، مجوف باطنه، وهو من داخله مدرج قد حفر فيه، في مواضع من التدريج، مستراحات، وبني في كل مستراح شبيها بالبيت، يجلس فيه رجل واحد، كأنه على مقدار، يكون مكبوبًا على وجهه، لا يمكنه أن يجلس فيه، ولا يمد رجليه، فلما قدم محمد، حبس في بيت في أسفل ذلك الحبس، فلما استقر فيه أصابه من الجهد لضيقه، وظلمته، ومن البرد أمر عظيم، لنداوة الموضع ورطوبته، فكاد أن يتلف من ساعته.

فتكلم بكلام دقيق سمعه من كان في أعالي البئر ممن وكل بالموضع، فقال: إن كان أمير المؤمنين يرى قتلي، فالساعة أموت، وإن لم يكن يريد قتلي فقد أشفيت عليه.

فأخبر المعتصم بذلك، فقال: ما أريد قتله، وأمر بإخراجه.

فأخرج وقد زال عقله، وأغمي عليه، فطرح في الشمس، وطرحت عليه اللحف، وأمر بحبسه في بيت كان قد بني في البستان، فوقه غرفة، وكان في البيت خلاء إلى الغرفة التي فوقه، وفي الغرفة أيضًا خلاء آخر إلى سطحها، فلم يزل محبوسًا فيه حتى تهيأ له الخروج في ليلة الفطر سنة تسع عشر ومائتين.

قال: فحدثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين، وهو ابن عم أبيه، قال: أصبحت يوم الفطر، وأنا أتهيأ للكروب إلى المصلى، فأنا أشد منطقتي في وسطي، وقد لبست ثيابي أبادر الركوب إلى المصلى، فما راعني إلا محمد بن القاسم، قد دخل إلى متزلي، فملأني رعبًا وذعرًا.

وقلت له: كيف تخلصت؟

فقال:أنا أدبر أمري في التخلص منذ حبست ووصف لي الخلاء الذي

كان في البيت الذي حبس فيه إلى الغرفة التي فوقه، والخلاء الذي كان في الغرفة إلى سطحها.

قال: وأدخل معي يوم حبست، لبد، فكان وطائي وفراشي.

قال: وكنت أرى بغرش، وهو قرية من قرى خراسان، حبالًا تعمل من لبود، وتضفر كما يفعل بالسيور، فتجيء أحكم شيء، فسولت لي نفسي أن أعمل من اللبد الذي تحتي حبلًا، وكان على باب البيت، قوم موكلون بي يحفظونني لا يدخل علي أحد منهم، إنما يكلموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما أتقوت به.

فقلت لهم: إن أظفاري قد طالت جدًّا، وقد احتجت إلى مقراض، فجاءني رجل بمقراض أحد جانبيه منقوش كأنه مبرد.

وقلت لهم: إن في هذا البيت فئرانًا قد آذوني، ويقذرونني إذا قربوا مني، فأقطعوا لي جريدة من النخل أطردهم بها.

فقطعوا لي من بعض نخل البستان، جريدة، فرموا بها إليَّ، وكنت لا أزال أضرب به في البيت، أريهم أني أطرد الفئران، وأسمعهم صوتها أيامًا، ثم قشرت الخوص عنها، وقطعتها على مقدار ما ظننت أنه يعترض في ذلك الخلاء إذا رميتُ بها، فضممت ما قطعته منها بعضه إلى بعض، وقصصت اللبد، وفتلت منه حبلًا، على ما كنت أرى يعمل بغرش، ثم شددت ما قطعته من الجريدة في رأس الحبل، ثم رميت به في الكوة، وعالجته مرارًا حتى اعترض فيها، ثم اعتمدت عليها وصعدت إلى الغرفة، ومن الغرفة إلى السطح، فقلت ذلك مرارًا، في أيام كثيرة وتمكنت من الحركة لأني بردت، بجانب المقراض إحدى حلقتي القيد، ولم يمكنني أن ابرد الأخرى، فكنت إذا أردت الحركة، شددت القيد مع ساقي، وأتحرك، وقد صرت مطلقًا.

فلما كان في هذه الليلة وقد شغل الناس بالعيد وانصرف من كان على الباب من الموكلين، فلم أحس منهم أحدًا إلا شيخًا واحدًا كنت أسمع كلامه وحركته وأطلع فأراه.

فصعدت بين العشائين إلى الغرفة، ومن الغرفة إلى السطح، فأشرفت، فإذا المعتصم يفطر والناس بين يديه، والشموع تزهر، فرجعت.

فلما كان في جوف الليل صعدت والناس نيام، ونزلت إلى البستان، فإذا فيه قائد ومعه جماعة، فصاح بي بعضهم: من أنت؟

قلت: مديني من أصحاب الحمام، وكان في البستان منهم جماعة يشرفون على أمر الحمام.

فقال لي: إلى أين تخرج الساعة، اطرح نفسك حتى تصبح، وتفتح الأبواب، فطرحت نفسي بينهم، حتى فتح باب البستان في الغلس، وقد تحرك الناس، فصرت إلى دجلة لأعبر، فوجدت الشيخ الذي كان بقي من الموكلين بي يريد العبور، فترلت لأعبر، فطلب مني الملاح قطعة، فقلت له: ما معي شيء، أنا رجل غريب ضعيف الحال.

فقال لي الشيخ: اعبر، فأنا أعطيه عنك، وأعطاه الشيخ عني قطعة، وعبرت حتى جئتك.

قال علي بن الحسين: فقلت له: والله ما مترلي لك بموضع، فاخرج عني من ساعتك، ولا تقم فيه لحظة، وركبت إلى المصلى.

فصار إلى مترل رجل يعرفه، فأخفاه.

***

البلاغة نجاة....

أتي معن بن زائدة بأسرى، فعرضهم على السيف، فقال له بعضهم:

نحن أسراك أيها الأمير ونحن نحتاج إلى شيء من الطعام، فأمر لهم بذلك، فأتي بأنطاع، فبسطت، وأتى بالطعام، فقال لأصحابه امضوا في الأكل، ومعن ينظر إليهم، ويتعجب منهم، فلما فرغوا من أكلهم، قام غلام منهم وفيه فهم وبلاغة فقال: أيها الأمير، قد كنا قبل أسراك، ونحن الآن أضيافك، فانظر ماذا تصنع بأضيافك، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم، فقال له بعض من حضر: ما ندري أيها الأمير، أي يوميك أشرف، يوم ظفرك، أو يوم عفوك [(١)].

***

المنصور مع العدل والفضل ...

* وأخرج الأصمعي، قال:

أتي المنصور برجل يعاقبه، فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدل، والتجاوز فضل، ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين.

فعفا عنه[(٢)].

***

اللهم لطفك ...

* روى الخطيب الغدادي بسنده إلى أحمد بن سلمان النجاد، أحد المحدثين من السادة الحنابلة المتقدمين، وأحد الفقهاء الفقراء الشكرين – يرحمه الله تعالى –.

قال أحمد بن سلمان النجاد القطيعي: أضقت إضافة شديدة، فمضيت

---

(1) المستجاد ص ١١٩.

(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٦٥.

إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه، فقال لي: لا يضيق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، وإني أضقت مرة حتى انتهى أمري في الإضافة إلى أن عدم عيالي قوتهم!

فقالت لي الزوجة: هب أني وإياك نصبر، فكيف نصنع بهاتين الصبيتين؟ فإنهما لا تصبران على ما نصبر عليه، فهات شيئًا من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه! ونتفرج به فضننت بذلك، وشحت نفسي بالكتب، وقلت لها: اقترضي لهما شيئًا وأنظريني بقية اليوم والليلة.

وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي، فكنت أجلس فيه للنسخ والنظر، فلما كان في تلك الليلة إذا داقٌّ يدقُّ الباب، فقلت من هذا؟ فقال: رجلٌ من الجيران، فقلت: أدخل، فقال: أطفئ السراج حتى أدخل، فكببت على السراج شيئًا، وقلت: أدخل فدخل الدهليز فوضع فيه صرة كبيرة، وقال لي: إنا أصلحنا لصبياننا طعامًا، فأحببنا أن يكون لك وللصبيان فيه نصيب، وهذا شيء آخر، فوضعه إلى جانب الصرة الكبيرة، وقال: تصرفه في حاجتك، وأنا لا أعرف الرجل وتركني انصرف.

فدعوت الزوجة وقلت لها: أسرجي السراج، فأسرجته وجاءت، وإذا الصرة منديل له قيمة، وفيه خمسون وسطًا، في كل وسط لون من طعام، وإلى جانب الصرة كيس فيه ألف دينار، فقلت للزوجة: أنبهي الصبيان حتى يأكلوا، ولما كان الغد قضينا دينًا كان علينا من ذلك المال.

وكان وقت مجيء الحاج من خراسان، فجلست على باب داري من غد تلك الليلة، إذا جمَّال يقود جملين عليهما حملان ورقًا خراسانيًّا، وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي، فانتهى إليَّ، فقلت أنا إبراهيم الحربي، فحط الحملين، وقال: هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان،

فقلت: من هو؟ فقال: قد استحلفني أن لا أقول من هو، فأخذهما منه، ودعوت الله لمرسلهما وللحامل [1].

***

نجاه الله من النار...

* عن شرحبيل بن مسلم أن الأسود بن قيس العنسي، الكذاب، لما ادَّعى النبوة باليمن، بعث إلى أبي مسلم الخولاني، فلما جاءه قال:

أتشهد أني رسول الله؟

قال أبو مسلم: ما أسمع.

قال الأسود: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟

قال: نعم.

فردد ذلك عليه.

فأمر بنار عظيمة فأجِّجت، فألقى فيها أبا مسلم، فلم تضره، فقيل للأسود: انفه عنك، وإلا أفسد عليك من تبعك.

فأمره بالرحيل، فأتى أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر – رضي الله عنه –.

فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد، فقام يصلي إلى سارية، فبصربه عمر، فقام إليه فقال:

ممن الرجل؟

فقال: من أهل اليمن.

قال عمر: فلعلك الذي حرقه الكذاب بالنار؟

قال أبو مسلم: ذلك عبد الله بن ثوب – يريد إبعاد السمعة عن نفسه–.

---

(1) تاريخ بغداد (٦/٣١)، وطبقات الحنابلة (١/٨٦).

قال عمر: نشدتك بالله أنت هو؟

قال: اللهم نعم.

فاعتنقه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ، من فعل به كما فعل بإبراهيم ﷺ، خليل الرحمن [١].

***

مُلَح وطرائف...

* قيل للنضر بن شميل: أي بيت قالته العرب أسخى؟ قال الذي يقول:

فلـــو لم تكـــن في كفـــه غـــير روحـــه
لجـــــاد بهـــــا فليتـــــق الله ســـــائله

قيل: وأي بيت قالته العرب أبخل؟ فقال:

لـــــو جعـــــل الخـــــردل في كفـــــه
مـــا ســـقطت مـــن كفـــه خردلـــه!

***

* قال هاشم بن القاسم: سألت سالم بن قتيبة حاجة، فقضاها، ثم سألته أخرى، فنتهرني وقال: حاجتين على الريق؟ ثم دعا بالطعام، فلما تغدى قال: هات حاجتك، أما سمعت قول الصبيان:

إذا تغـــــذَّيت وطابـــــت نفـــــسي
فلـــــيس في الحـــــق غـــــلام مثلـــــي
إلا غـــــلام قـــــد تغـــــدى قبلـــــي

* كان ببغداد رجل يقال له: ابن الهفت، فمر يومًا على سائل واقف على الجسر وهو يقول: اللهم ارزق المسلمين حتى يعطوني، فقال له: تسأل

(1) بستان العارفين للنووي ص ٦٣.

ربك الحوالة؟!

***

* قال شيخ لابن أبي سعيد: رأيت عبد الله بن المبارك يَعَضُّ يد خادم له، فقلت له: تَعَضُّ يد خادمك؟ قال: كم آمره أن لا يعد الدراهم على السؤال، أقول له: احث لهم حثوًا!

* عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس قال: صحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد، فما رأيته أكل وحده.

* خرج الزهري يومًا من عند هشام بن عبد الملك فقال: ما رأيت كاليوم ولا سمعت به، كأربع كلمات تكلم بهن رجل آنفًا عند هشام بن عبد الملك، فقيل له: وما هن؟

قال: قال له رجل: يا أمير المؤمنين، احفظ عني أربع كلمات فيهن سلاح ملكك، واستقامة رعيتك قال: هاتهن، قال: لا تَعِدَنَّ عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرَّنَّك المرتقى، وإن كان سهلًا إذا كان المنحدر وعرًا، واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن للأمور بغتات، فكن على حذر.

***

يا بُنَيَّ ...

* **وعظ الخطاب بن المعلى المخزومي القرشي ابنه فقال:**

يا بني، عليك بتقوى الله وطاعته، وتجنب محارمه باتباع سنته ومعالمه حتى تصح عيوبك، وتقر عينك، فإنها لا تخفى على الله خافية، إني قد وسمت لك وسمًا، ووضعت لك رسمًا، إن أنت حفظته ووعيته وعملت به ملأت أعين الملوك، وانقاد لك به الصعلوك، ولم تزل مرتجى مشرفًا

يحتاج إليك، ويرغب إلى ما في يديك، فأطع أباك، واقتصر على وصية أبيك، وفرغ لذلك ذهنك، واشغل به قلبك ولبك.

وإياك وهَذْرَ الكلام، وكثرة الضحك والمزاح، مهازلة الإخوان، فإن ذلك يُذهب البهاء، ويوقع الشحناء.

وعليك بالرزانة والتوقر، من غير كِبر يوصف منك، ولا خُيلاء تحكى عنك، والقَ صديقك وعدوك بوجه الرضي، وكف الأذى من غير ذلة ولا هيبة منهم.

وكن في جميع أمورك في أوسطها، فإن خير الأمور أوساطها، وقلِّل الكلام، وأفش السلام، وامش متمكنًا قصدًا، ولا تخط برجلك، ولا تسحب ذيلك، ولا تلو عنقك، ولا رداءك، ولا تنظر في عطفك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، ولا تتخذ السوق مجلسًا، ولا الحوانيت متحدثًا.

ولا تكثر المراء، ولا تنازع السفهاء، فإن تكلمت فاختصر، وإن مزحت فاقتصر، وإذا جلست فتربع، وتحفظ من تشبيك أصابعك وتفقيعها، والعبث بلحيتك وخاتمك، وذؤابة سيفك وتخليل أسنانك، وإدخال يديك في أنفك، وكثرة طرد الذباب عنك، وكثرة التثاؤب والتمطي، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك، ويغتمزون به فيك.

وليكن مجلسك هاديًا، وحديثك مقسومًا، واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك، بغير إظهار عجب منك، ولا مسألة إعادة، وغُضَّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات، ولا تُحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك، ولا عن فرسك، ولا عن سيفك.

وإياك وأحاديث الرؤيا، فإنك إن أظهرت عجبًا بشيء منها طمع فيها

السفهاء، فولدوا لك الأحلام، واغتمزوا في عقلك، ولا تَصَنَّع تصنُّعَ المرأة، ولا تبذَّل تبَذَّل العبد، ولا تهلُب لحيتك ولا تبطنها، وتوق كثرة الحف، ونتف الشيب، وكثرة الكحل، والإسراف في الدهن، وليكن كحلك غبًّا.

ولا تلح في الحاجات، ولا تخشع في الطلبات، ولا تعلم أهلك وولدك – فضلًا عن غيرهم – عدد مالك، فإنهم إن رأوه قليلًا هنت عليهم، وإن كان كثيرًا لم تبلغ به رضاهم، وأخفهم في غير عنف، ولن لهم في غير ضعف، ولا تهازل أمتك.

وإذا خاصمت فتوقَّر، وتحفظ من جهلك، وتجنب في عجلتك، وتفكر في حجتك، وأرى الحاكم شيئًا من حلمك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تحفَّز على ركبتيك، وتوقَّ حمرة الوجه، وعرق الجبين، وإن سفه عليك فاحلم، وإذا هدأ غضبك فتكلم، وأكرم عرضك، وألق الفضول عنك.

وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان، وإن استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك، وارفق به رفقك بالصبي، وكلمه بما يشتهي، ولا يحملنك ما ترى من إلطافه إياك، وخاصته بك: أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه، وإن كان لذلك منك مستمعًا، وللقول منك مطيعًا، فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله صرعة لا تنهض، وزَلَّة لا تقال وإذا وعدت فحقق، وإذا حدثت فاصدق، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم، ولا تخافت كتخافت الأخرس، وتخير محاسن القول بالحديث المقبول، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله، وإياك لأحاديث العابرة المشنِّعة التي تنكرها القلوب، وتقف لها الجلود، وإياك ومضعَّف الكلام مثل: نعم، نعم، ولا، ولا، وعجل، عجل، وما أشبه ذلك.

وإذا توضأت فأجد عرك كفيك، وليكن وضعك الحُرُض من الأشنان في فيك كفعلك بالسواك، ولا تنخَّع في الطست، وليكن طرحك الماء من فيك مترسلًا، ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك، ولا تعض نصف اللقمة، ثم تعيد ما بقي منها منصبغًا، فإن ذلك مكروه، ولا تكثر الاستقساء على مائدة الملك، ولا تعبث بالمشاش، ولا تُعب شيئًا مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة.

لا تمسك إمساك المثبور، ولا تبذر تبذير السفيه المغرور، واعرف في مالك واجب الحقوق، وحرمة الصديق، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك، واعلم أن الجشع يدعو إلى الطمع، والرغبة كما قيل تدق الرقبة، ورب أكلة تمنع أكلات، والتعفف مال جسيم، وخلق كريم.

ومعرفة الرجل قدره تشرف ذكره، ومن تعدى القدر هوى في بعيد القعر، والصدق زين، والكذب شين، والصدق يسرع عطب صاحبه أحسن عاقبة من كذب يسلم عليه قائله، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان، ولقرب ملك جواد خير من مجاورة بحر طرَّاد، وزوجة السوء الداء العضال، ونكاح العجوز يذهب بماء الوجه، وطاعة النساء تزري بالعقلاء، تشبه بأهل العقل تكن منهم، وتصنع للشرف تدركه.

واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه، وإنما ينسب الصانع إلى صناعته، والمرء يعرف بقرينه، وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم، ويحزنون من صادقهم، وقربهم أعدى من الجرب، ورفضهم من استكمال الأدب، واستخفار المستجير لؤم، والعجلة شؤم، وسوء التدبير وهن.

والإخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاء، وصديق لك في الرخاء،

فاحفظ صديق البلاء، وتجنب صديق العافية، فإنهم أعدى الأعداء.

ومن اتبع الهوى ما به الردى، ولا يعجبنك الجهم من الرجال، ولا تحقر ضئيلًا كالخلال فإنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه.

وتوقَّ الفساد، وإن كنت في بلاد الأعادي، ولا تفرش عرضك لمن دونك، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك، ولا تكثر الكلام فتثقل على الأقوام، وامنح البشر جليسك، والقبول ممن لاقاك.

وإياك وكثرة التبريق والتزليق، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث، وإياك والتصنع لمغازلة النساء، وكن متقربًا، متعززًا، منتهزًا في فرصتك، رفيقًا في حاجتك، متثبتًا في حملتك، والبس لكل دهر ثيابه، ومع كل قوم شكلهم.

واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته، ولا تَرِدْ حتى ترى وجه المصدر.

وعليك بالنورة في كل شهر مرة، وإياك وحلاق الإبط بالنورة، وليكن السواك من طبيعتك، وإذا أسكت فعرضًا، وعليك بالعمارة، فإنها أنفع التجارة، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع، ومنازعتك اللئيم تطمعه فيك، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق، والرفيق الصالح ابن عم، ومن أيسر أكْبِرَ، ومن افتقر احتُقِر، قَصَّر في المقالة، مخافة الإجابة، والساعي إليك غالب عليك، وطول السفر ملالة، وكثرة المنى ضلالة، وليس للغائب صديق، ولا على الميت شفيق.

وأدب الشيخ عناء، وتأديب الغلام شقاء، والفاحش أمير، والوقاح

وزير، والحليم مطية الأحمق، والحمق داء لا شفاء له، والحلم خير وزير، والدين أزين الأمور، والسماحة سفاهة، والسكران شيطان، وكلامه هذيان، والشعر من السحر، والتهدد هجر، والشح شقاء، والشجاعة بقاء.

والهدية من الأخلاق، السَّرية، وهي تورث المحبة، ومن ابتدأ المعروف صار دينًا، ومن المعروف ابتداء من غير مسألة، وصاحب الرياء يرجع إلى السخاء، ولرياء بخير خير من معالنة بشر، والعرق نزاع، والعادة طبيعة لازمة: إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، ومن حل عقدًا احتمل حقدًا، ومراجعة السلطان خُرق بالإنسان، والفرار عار، ولتقدم مخاطرة، أعجل منفعة إيسار في دعة، وكثرة العلل من البخل، وشر الرجال الكثير الاعتلال، وحسن اللقاء يذهب بالشحناء، ولين الكلام من أخلاق الكرام.

يا بني، إن زوجة الرجل سكنه، ولا عيش له مع خلافها، فإذا هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة.

واعلم أن النساء أشد اختلافًا من أصابع الكف، فتوق منهن كل ذات بذا مجبولة على الأذى، فمنهن المعجبة بنفسها، المزرية ببعلها، إن أكرمها رأته لفضلها عليه، لا تشكر على جميل، ولا ترضى منه بقليل، لسانها عليه سيف صقيل، قد كشفت القِحَةُ ستر الحياء عن وجهها، فلا تستحي من أعوارها، ولا تستحي من جارها، كلبة هرارة، مهارشة عقارة، فوجه زوجها مكلوم، وعرضه مشتوم، ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا، ولا تحفظه لصحبة ولا لكثرة بنين، حجابه مهتوك مر، وستره منشور، وخيره مدفون، يصبح كئيبًا، ويُمسي عاتبًا، شرابه وطعامه غيظ وولده ضياع، وبيته مستهلك، وثوبه وسخ، ورأسه شعت، إن ضحك فواهن، وإن تكلم

فمتكاره، نهاره ليل، وليله ويل، تلدغه مثل الحية العقارة، وتلسعه مثل العقرب الجرارة.

ومنهن شفشليق شعشع سلفع، وذات سم منقع، وإبراق واختلاق تهب مع الرياح، وتطير مع كل ذي جناح، إن قال: لا، قالت: نعم، وإن قال: نعم، قالت: لا، مولدة لمخازيه، محتقرة لما في يديه، تضرب له الأمثال، وتقصر به دون الرجال، وتنقله من حال إلى حال، حتى قلا بيته، ومل ولده وغث عيشه، وهانت عله نفسه، حتى أنكره إخوانه، ورحمه جيرانه.

ومنهن الورهاء الحمقاء: ذات الدَّل في غير موضعه، الماضغة للسانها، الآخذة في غير شأنها، قد قنعت بحبه، ورضيت بكسبه، تأكل كالحمار الراتع، تنتشر الشمس ولما يسمع لها صوت، ولم يكنس لها بيت، طعامها بائت، وإناؤها وَضَر وعجينها حامض، وماؤها فاتر، ومتاعها مزروع، وماعونها ممنوع، وخادمها مضروب وجارها محروب.

ومنهن العطوف الودود، المباركة الولود، المأمونة على غيبها، المحبوبة في جريانها المحمودة في سرها وإعلانها، الكريمة للتبعل، الكثيرة التفضل، الخافضة صوتًا، النظيفة بيتًا، خادمها مسمن، وابنها مزين، وخيرها دائم، وزوجها ناعم، مرموقة مألوفة، وبالعفاف والخيرات موصوفة.

جعلك الله يا بني ممن يقتدي بالهدي، ويأتم بالتقى، ويجتنب السخط، ويحب الرضا، والله خليفتي عليك، والمتولي لأمرك.

***

السَّفر والغربة ...

* كان الحجاج يقول: لولا فرحة الإياب، لما عذبت أعدائي إلا بالسفر!

وقيل: السفر اغتنام لولا أنه اغتمام، والغربة دُرْبة لولا أنها كُربة!

وقيل: إذا كنت في بلد غيرك، فلا تنس نصيبك من الذل.

وقيل: الغريب ميت الأحياء.

وقيل: الغريب كالوحش الذي غاب عن وطنه، فهو لكل سبع فريسة، ولكل رام رميَّة.

***

ونفسك أكرمها ...

* من لطائف ما حكاه الأصمعي قال: مررت برجل يكسح كنيفًا (أي ينظف حمامًا) وهو يقول:

وإيـــاك والـــسكنى بـــدار مذلـــة
تعـــد مـــسيئًا بعـــدما كنـــت محـــسنًا
ونفـــسك أكرمهـــا فـــإن ضـــاق مـــسكن
عليـــك بهـــا فاطلـــب لنفـــسك مـــسكنًا

فقلت له: والله ما بقي من الهوان شيء إلا وقد أهنت به نفسك، فكيف تأمر بإكرام النفس ولا تكرمها؟

فقال: بلى والله من الهوان ما هو أعظم مما أنا فيه.

فقلت له: وما هو؟

قال: الوقوف على سفلة مثلك!

قال الأصمعي: فانصرفت عنه وأنا أخزى الناس!

***

لا تضيق نفسك...

* جاء في (طبقات الحنابلة) للقاضي ابن أبي يعلى، في ترجمة (القاضي أبي علي الهاشمي محمد بن أحمد الحنبلي) المولود سنة ٣٤٥هـ، والمتوفى سنة ٤٢٨ هـ ببغداد -يرحمه الله تعالى-:

(ذكر أبو علي بن شوكة، قال: اجتمعنا جماعة من الفقهاء، فدخلنا على القاضي أبي علي الهاشمي، فذكرنا له فقرنا وشدة ضرنا! فقال لنا: اصبروا، فإن الله سيرزقكم ويوسع عليكم، وأحدثكم في مثل هذا بما تطيب به قلوبكم.

أذكر سنة من السنين وقد ضاق بي الأمر شيئًا عظيمًا، حتى بعث رجل داري! ونفد جميعه، ونقضت الطبقة الوسطى من داري! وبعت أخشابها، وتقوَّتُّ بثمنها، وقعدت في البيت فلم أخرج، وبقيت سنة! فلما كان بعد سنة قالت لي المرأة: الباب يدق، فقلت لها: افتحي الباب، ففعلت، فدخل رجل فسلم علي، فلما رأى حالي لم يجلس حتى أنشدني وهو قائم:

ليس من شدة تصيبك إلا
سوف تمضي وسوف تكشف كشفًا
لا يضيق ذرعك الرحيب فإن النار
يعلو لهيبها ثم تطفا
قد رأينا من كان أشفى على الهلك
فوافت نجاته حين أشفى

ثم خرج عني ولم يقعد، فتفاءلت بقوله، فلم يخرج اليوم عني حتى جاءني رسول القادر بالله، ومعه ثياب ودنانير، وبغلة بمركب، ثم قالي لي:

أجب أمير المؤمنين، وسلَّم إليَّ الدنانير والثياب والبغلة، فغيرت عن حالي، ودخلت الحمام، وصرت إلى القادر بالله، فرد إليَّ قضاء الكوفة، وأعمالها، وأثرى حالي).

***

الخليفة هارون الرشيد ...

* قال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد – وقد جنى جناية – يا أمير المؤمنين، أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك، وبالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي، لما عفوت عني.

فعفا عنه لما ذكر قدرة الله – تعالى –[١].

***

المال والحمق...

* روى الأصمعي أنه لقي غلامًا حدثًا – صغيرًا، ناشئًا – من أولاد العرب، قال له: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم، وأنت أحمق؟

فقال الغلام: لا.

قال الأصمعي: و لم؟

قال: أخاف أن يجني علي حمقي جنابة تذهب بمالي، ويبقى لي حمقي.

***

اعفني عفا الله عنك ...!

* دخل القاضي عقبة بن يزيد على الخليفة المهدي في وقت الظهيرة، واستعفاه من القضاء، وطلب منه أن يقيله من ولايته.

فظن المهدي أن بعض الولاة قد عارضه في حكمه، فقال له في ذلك:

([1]) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٣٥.

المهدي: إن كان عارضك أحد لننكرن عليه.

القاضي: لم يكن شيء من ذلك.

المهدي: فما سبب استغنائك من القضاء؟

القاضي: يا أمير المؤمنين، تقدم إليَّ خصمان منذ شهر في قضية مشكلة، وكلٌّ يدَّعي بينة وشهودًا، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت، فرددت الخصوم، رجاء أن يصطلحوا أو أن يظهر الفصل بينهما.

فسمع أحدهما أني أحب الرطب، فعمد في وقتنا هذا وهو أول أوقات الرطب، فجمع رطبًا لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشا بوابي بدراهم على أن يدخل الطبق علي، ولا يبالي أن يرد عليه، فلما أدخله علي أنكرت ذلك وطردت بوابي، وأمرت برد الطبق، فُرد عليه.

فلما كان اليوم تقدم الخصمان إليَّ فما تساويا في عيني ولا قلبي.

فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلت؟ ولا آمن أن تقع علي حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس، فأقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله، وأعفني عفا الله عنك فأقاله.

***

رغيف خبز بألف دينار...

* حصل في زمن المستنصر بالله غلاء شديد أفسد على الناس عيشهم، وقد بلغ أمره أن امرأة من أرباب البيوتات أخذت عقدًا لها قيمته ألف دينار، وعرضته على جماعة في أن يعطوها به دقيقًا، وكل يعتذر إليها، ويدفعها عن نفسه إلى أن رحمها بعض الناس وباعها به دقيقًا لا يكاد يذكر بجانب هذا العقد، فلما أخذته أعطت بعضه لمن يحميها من النهاية في

الطريق، فلما تسلمته من الحماة تكاثر الناس عليه، وانتهبوه منها و لم تأخذ إلا ملء يديها، ثم عجنته وسوته على النار حتى صار قرصًا ثم أخذته ووقفت على مكان مرتفع ورفعت القرص على يدها بحيث يراها الناس ونادت بأعلى صوتها: يا أهل القاهرة ادعو لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه، وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقوَّم عليَّ هذا القرص بألف دينار، فلما علم المستنصر بذلك أحضر الوالي وتوعده وهدده وأقسم بالله إن لم يظهر الخبز في الأسواق وينحل السعر، وإلا ضرب رقبته وصادر أمواله، وفخرج من بين يديه وأمر بإحضار التجار فدخل عليه واحد منهم في حالة يسر ورخاء حتى إذا مثل بين يديه قال له: ويلك أما كفاك أنك خنت السلطان واستوليت على مال الديوان إلى أن أخرجت الأعمال ومحقت الغلال، فأدى ذلك إلى اختلاف الدولة وهلاك الرعية، ثم أمر بضرب عنقه فضربت، ثم أمر بإحضار آخر منهم ففعل به مثل ما فعل بالأول ثم أمر بثالث فقام إليه التجار، وقالوا: أيها الأمير في بعض ما جرى الكفاية، وأخرجوا الأقوات للناس.

***

إنما أريد الجنة ...

* حدثت قرعة بين سعد بن خيثمة وبين أبيه قبيل غزوة بدر فأصابت القرعة الابن، فطلب منه أبوه أن يتنازل له، فقال له ولده: يا أبتاه لو كان ما تريد غير الجنة لأجبت، ثم استشهد سعد في المعركة، وفي السنة القادمة حدثت غزوة أحد فأسرع خيثمة بالذهاب إلى رسول الله ﷺ قائلًا:

لقد رأيت ابني البارحة في المنام في أحسن صورة ينعم في الجنة ويقول: لقد وجدت يا أبي ما وعدني ربي حقًّا، فالحق بنا ترافقنا في الجنة.

وقد أصبحت يا رسول الله مشتاقًا إلى مرافقة ولدي ولقاء ربي، فادع الله أن يرزقني الشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ ثم دخل المعركة فاستشهد في أحد.

***

حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله ....

* وجه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – جيشًا إلى الروم، وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب رسول الله ﷺ فأَسَرَه الروم، وذهبوا به إلى ملكهم، فقال له الملك: هل لك أن تتنصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟

فأجابه عبد الله: لو أعطيتني ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت.

قال الملك: إذن أقتلك.

أجابه عبد الله: أنت وذاك.

فأمر به الملك أن يصلب، فصلب، وقال للرماة: ارموه قريبًا من يديه، قريبًا من رجليه، وهو يعرض عليه النصرانية فيأبى... ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر فصب فيها ماء حتى غلبت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية فيأبى، ثم أمر بعبد الله بن حذافة أن يُلقى في هذه القدر... فلما ذهبوا به بكى، فقيل للملك: إنه بكى، فظن أنه جزع، فقال: ردوه، فعرض عليه النصرانية فأبى، فقال له: ما أبكاك إذن؟

قال: أبكاني أني قد قلت في نفسي: تلقى هذه الساعة في هذه القدر فتذهب؟ فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله.

قال له الملك: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟

قال عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين.

قال: وعن جميع أسارى المسلمين.

قال عبد الله: قلت في نفسي: عدو من أعداء الله يقبل يخلي عني وعن أسارى المسلمين.. فقدم بهم على عمر - رضي الله عنه - فأخبر عمر بذلك، فقال عمر:

حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، فقام عمر فقبَّل رأسه!!

***

زادك الله معرفة ...

* قال رجل من البخلاء لأولاده: اشتروا لي لحمًا، فاشتروه، فأمر بطبخه، فلما استوى أكله جمعه حتى لم يبق في يده إلا عظمة، وعيون أولاده ترمقه، فقال: ما أعطي أحدًا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها، فقال ولده الأكبر: أمشمشها يا أبت وأمصمصها حتى لا أدع للذر فيها مقلًا، قال: لست بصاحبها.

فقال الأوسط: أولكها يا أبت وألحسها حتى لا يدري أحد لعام هي أم لعامين، قال: لست بصاحبها، فقال الأصغر: يا أبت، أمصها، ثم أدقها وأسفها سفًّا، قال: أنت صاحبها، وهي لك، زادك الله معرفة وحزمًا.

***

يؤمل خيرًا ولا يصيبه ...

قال أحدكم: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى فقلت: يا أبا محمد، ما الذي أبكاك؟

قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيرًا لا يصيبه؟

***

رجل يغلب القاضي...

* روي عن إياس بن معاوية أنه قال: ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليَّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني - وذكر حدوده - هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت ثم قال: منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا، فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت له: الحق معك، وأجزت شهادته.

***

حمار عجيب ...

* دخل أحدهم سوق النخاسين بالكوفة، فقعد إلى نخاس فقال: يا نخاس، اطلب لي حمارًا، لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرت علفه شكر، لا يدخل تحت البواري ولا يزاحم السواري، إذا خلا في الطريق تدفق، وإذا كثر الزحام ترفق.

فقال له النخاس، بعد أن نظر إليه ساعة، دعني إذا مسخ الله القاضي حمارًا اشتريته لك!

***

إن كنت أخذت فقد أبقيت...

* أصابت عروة بن الزبير الأَكَلَةُ في رجله فأشاروا عليه بقطها.

قالوا: نسقيك المرقِّد.

فقال: إني لأكره أن أفارق عضوًا من أعضائي، وأنا لا أجد ألمًا لفراق ذلك العضو، ودخل عليه قوم أنكرهم، فقال: ما هؤلاء؟

قالوا: يمسكونك.

قال: أرجو أن أكفيكم ذلك من نفسي، ومدَّ رجله، وجيء بالسكين، فقطع اللحم، والمنشار فنشر به العظم، وأغلي الزيت في مغارف الحديد، وحسم به الدم، كل ذلك، وهو لم يتحرك.

ولقد دخل عليه وهو في مصيبته هذه رجل يعزيه، فقال له عروة إن كنت تعزيني في رجلي، فقد احتسبتها.

قال: بل أعزيك في ولدك محمد!

قال: ما له؟

قال: سقط الساعة في إسطبل دواب الوليد، فرفسته بقوائمها حتى قتلته، فما زاد على أن قال:

اللهم أخذت ابنًا وأبقيت أبناء، وأخذت عضوًا وأبقيت أعضاء.

اللهم إن كنت أخذت فقد أبقيت، وإن كنت ابتليت فقد عافيت.

***

كان خلقه القرآن...

* يروى أن يهوديًّا كان له عند رسول الله ﷺ دين، فأراد أن يطلب دينه قبل حلول أجله، فاعترض رسول الله في طريق المدينة، وقال: إنكم بني عبد المطلب قوم مُطل - أي مماطلون ...

ورأى عمر بن الخطاب ذلك فغضب وقال: إن أذن لي رسول الله ﷺ قطعت عنقه! فقال النبي ﷺ: «**أنا وصاحبي أحوج إلى غير هذا يا عمر: مره بحسن التقاضي، ومرني بحسن الأداء**».

ثم التفت إلى اليهودي وقال: «**يا يهودي، إنما يحل دينك غدًا**».

***

رجل من أهل الجنة...

* روى أحمد في مسنده عن أنس بن مالك – رضي الله عنهما – قال: كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته – أيضًا – فطلع ذلك الرجل على مثل الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو، فقال: إني لاحيت أبي – أي جادلته–، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثًا: فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلتي، قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعارَّ – أي استيقظ – تقلب على فراشه ذكر الله – عز وجل – وكبر حتى صلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الليالي الثلاث، وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب أو هجرة، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرات: فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟.

قال: ما هو إلا ما رأيت. فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك.

***

يطلق زوجة جاره ...

ومن طُرف الأصمعي ما حدثه، قال: قلت للرشيد يومًا: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلًا من العرب طلق خمس نسوة، قال الرشيد: إنما يجوز ملك رجل على أربع نسوة فكيف طلق خمسًا، قلت: كان لرجل أربع نسوة فدخل عليهن يومًا فوجدهن مُتلاحيات متنازعات - وكان الرجل سيء الخلق - فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك - يقول ذلك لامرأة منهن - اذهبي فأنت طالق! فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق، لو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقًا، فقال لها: وأنت أيضًا طالق! فقالت له الثالثة: قبحك الله! فوالله لقد كانتا إليك محسنتين، وعليك مُفْضِلَتين! فقال: وأنت أيتها المعدِّدة أياديهما طالق أيضًا، فقلت له الرابعة وكانت هلالية وفيها أناة شديدة - ضاق صدرها عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق! فقال لها: وأنت طالق أيضًا! وكان ذلك بمسمع من جارة له، فأشرفت عليه سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك إلا بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه منكم، أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة! قال: وأنت أيتها المؤنبة المتكلفة طالق، إن أجاز زوجك! فأجابه من داخل بيته: قد أجزت! قد أجزت!

***

* عن عبد الملك بن عمير، عن أبيه، عن سعيد بن العاص:

لما حضرته الوفاة، جمع بنيه فقال: أيكم يكفل دَيني؟ فسكتوا.

قال: ما لكم لا تكلمون؟ فقال ابنه عمرو الأشدق - وكان عظيم الشدقين-: وكم دَينك؟ قال: ثمانون ألف دينار، قال: وفيم استدنتها يا أبت؟ قال: في كريم سددت فاقته، ولئيم فديت عرضي منه، قال علي يا أبت.

قال سعيد: مضت خلة وبقيت خلتان، قال عمرو: ما هما يا أبت؟ قال سعيد: إخواني، إن فقدوا وجهي فلا يفقدوا معروفي، قال عمرو: أفعل يا أبت.

قال سعيد: مضت خلتان وبقيت خلة، قال عمرو: وما هي؟ قال: بناتي، لا تزوجهن إلا من الأكفاء ولو تلقلوا حبَّ الشعير، قال عمرو: أفعل يا أبت.

قال سعيد: أما والله لئن قلت لك: لقد عرفته في حماليق وجهك وأنت في مهدك.

قال سعيد: ما شتمت رجلًا مذ كنت رجلًا، ولا كلفت من يرتجيني أن يسألني، لهو آمن عليَّ مني عليه إذ قصدني لحاجته.

***

الأصمعي والأعرابي...

* عن الأصمعي قال:

خرجت حاجًّا إلى بيت الله الحرام، فعارضني في الطريق أعرابي، فحك محمله مَحملي فشتمته وعلوته، فلما قدمت مكة رأيته في الطواف متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إن غفرت لي فاغفر لمن شتمني وضربني، فقلت له: شتمناك وضربناك فتدعو لنا في هذا الموضع؟ فضحك، ثم قال:

لا يغضب الحرُّ على سفلة ... فالحر لا يغضبه النذل

وربَّ وغد مضَّني فعلُه ... قلت له: زد، فلك الفضل

كلامه عندي كهجرانه ... فإن تعدى فله النَّعل

***

من طرائف شريح القاضي ...

* مرض زياد: فدخل عليه شريح القاضي، فلما خرج بعث إليه مسروق يقول: كيف تركت الأمير؟ فقال: تركت يأمر وينهى، فقال: إن شريحًا صاحب عويص فاسألوه: فقال: تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء!

***

* حكى المدائني أن شريحًا القاضي أُتي برجل، فادعى عليه قوم أنه خطب منهم فسألوه عن صناعته فقال: أبيع الدواب، ثم بعد أن تزوج فتشوا عنه، فإذا هو يبيع السنانير، فقال لهم شريح: هلا قلتم: أيُّ الدواب؟

***

المهنة...

* خطبت امرأة لرجل، فسألت عنه فقالت الخاطبة: يبيع ويشتري، ثم فُتِّش عليه، فإذا هو بطال!

فقيل لها: ألست قلت يبيع ويشتري؟

فقالت: نعم، يبيع ثيابه ويشتري بها خبزًا!

***

* ودخلت دلالة إلى قوم تخطب إليهم فقالوا: ما صناعته؟

قالت: يكتب بقلم حديد ويختم بالزجاج!

فعلموا أنه حجام!

***

* وقيل لحائك: ما صناعتك؟

قال: زينة الأحياء وكسوة الموتى!

***

بشار الشاعر الأعمى.

* قال بعضهم للشاعر الأعمى بشار بن برد: إن الله – تعالى – إذا سلب كريمتي العبد عوضه ما هو خير منهما، فما الذي عوضك؟

قال: أن لا أراك!

***

أحسد الناس...

* حكى بعضهم أنه قيل للمأمون: أنت أحسد الناس! فغضب من ذلك، فقيل: تحسد على المكارم فلا تدع لأحد مكرمة إلا سبقت إليها.

فأعجبه ذلك ووصله!

***

الحجاج معلمًا ومتعلمًا...

* روي أن الحجاج سأل أعرابيًّا، فقال: كيف كانت سنتكم هذه؟ قال: تفرقت الغنم، ومات الكلب، وطفئت النار!

فقال لأصحابه: أترونه ذكر خصبًا أم جدبًا؟

قالوا: بل جدبًا شديدًا!

قال: ما أقل بصركم بأمر العرب، إنما ذكر خصبًا! فذكر أن الغنم تفرقت حين صرفت وجوهها إلى المرعى، ومات الكلب حين لم يمت من الغنم شيء فيأكل لحمه، وطفئت النار لاكتفاء الناس باللبن عن اللحم!

***

* وحكي أن قتيبة بن مسلم دخل على الحجاج وبين يديه كتاب من عبد الملك بن مروان وهو مفكر متغير، فقال: ما يحزن الأمير؟

فقال: كتاب أمير المؤمنين، قال: وماذا فيه؟

فناوله الكتاب فإذا فيه: أما بعد ، فإنك سالم، والسلام.

فقال قتيبة: ما لي إن استخرجت ما أراد به؟ قال: لك ولاية خراسان!

قال: يريد به قول الشاعر:

يـــديرونني عــــن ســـالم وأديـــرهم
وجلـــدة بـــين العـــين والأنـــف ســـالمُ

أي: أنت عني مثل سالم عند هذا القائل!

***

في الثُقلاء...

* حكي أن ثعلبًا قال لرجل أطال الجلوس عنده: بلغك خاتم طاووس؟ فلم يعرف مراده.

فقال: كان نقش خاتمه: أبرمت فقم، فإذا دخل عليه من يتبرم منه عرض عليه الخاتم فأحوجه إلى القيام.

***

في الكناية عن الأطعمة والمأكولات...

* الخبز يكنى عنه بـــ (عاصم بن حبة) وبـــ (جابر بن حبة)، قال الأعشى:

لا تلمـــــاني ولومـــــا جـــــابرًا
فجـــــابر كلفـــــني الهـــــواجرا

ويكنون بالشهيدة عن الهريسة، وبالهدية أيضًا، إشارة لقول القائل:

هلمـــوا إلى مـــن عُـــذِّبت طـــول ليلـــها
بنـــــار ســـــعير فوقهـــــا تتـــــسعر
وهـــي جلـــدة جلـــدين وهـــي بريئـــة
هلمُّـــوا إلى دفـــن الـــشهيدة تـــؤجروا

* ويكنى عن اللحم بـــ (تحفة إبراهيم – عليه السلام –).

وعن التمر بـــ (خرسة مريم)، والخرسة: ما تطعمه النفساء عند الولادة، والخرس - بلا هاء - وليمة المولود.

* والصوفية يكنون عن الخوان بأبي جامع.

* وعن الفالوذج بأبي المضاء.

* وعن الخبيص بأبي الطيب.

* وكان أبو بكر بن قريعة يكنى عن القطائف بلفائف النعيم.

* وقُدم لبعض الأعراب قطائف فلم يعرفها، فقال: هذه كرش مطيب!

* وقال طباخ عضد الدولة لأبي القاسم الصوفي ما تشتهي؟ قال: الشيخ الطبري، في رداء عسكري، وقبور الشهداء، فلم يعرفها، حتى فسروها بالأرز باللبن والقطائف!

***

* حكى أبو العيناء قال: ما رأيت أحدًا قط أحسن شاهدًا عند الحاجة من ابن عائشة! قلت له يومًا: كان أبو عمرو المخزومي بقصدك كثيرًا ثم جفاك، فقال:

فـــإن تنـــأ عنَّـــا لا تـــضرُّنا وإن تَعُـــد
تَجدنا علـــى العهـــد الـــذي كنـــت تعلـــم

***

* قال ابن الأعرابي: فلان لا يثني ولا يثلث: يعني الرجل الكبير عندما يريد النهوض فلا يقدر في أول مرة، ولا في الثانية، ولا في الثالثة.

وقال غيره: تقول العرب: فلان تزوج بامرأة جمعت الثياب.

أي: امرأة كبيرة تلبس القناع والخمار والإزار، وليست بصبية تكتفي بثوب واحد.

***

معاوية...

* حكي أن عطاء بن أبي سفيان الثقفي قال ليزيد بن معاوية: أغنني عن غيرك فقال: حسبك ما أغناك به معاوية، فقال عطاء: فهو والله الحي وأنت الميت!

فاهتز يزيد لكلمته، وأمر له بجائزة.

***

في الكناية...

* يقولون في الكناية عمن يحمد جواره: هو جار أبي داود.

والأصل في ذلك أن كعب بن أمامة الإيادي كان إذا جاوره رجل فمات واراه، وإن هلك له شاة أو بعير أخلف عليه! فجاوره أبو داود الإيادي الشاعر، فصار يفعل ذلك، فصارت العرب إذا حمدت جارًا لحسن جواره قالوا: جار أبي داود.

***

* حكى أن بعض الحكماء رأى رجلًا أحمق جالسًا على حجر فقال: حجر على حجر!

ويقولون: في ذلك: هو أعمى بلا عكاز، وكودن بلا مهماز، وثور مبطن بحمار!

ويقولون: هو خزانة الطرائف، لمن جمع عيوبًا ومساوئ.

***

* يقال: فلان رقيق النعل، كناية عن الملك، والأصل في ذلك أن الملك لا يخصف نعله، إنما يخصف نعله من يمشي!

ويقال: خلع الله نعله: أي: جعله مقعدًا، لأن المعقد لا يحتاج إلى النعل!

***

وتكنى العرب عن الشيء القليل بـــ (دَرِّ الأرانب)، لأن الأرانب يضرب المثله بقلة لبنها.

***

الحرباء...

* الحرباء دويبة شبيهة بالعظاية، تأتي شجرة تعرف بـــ (التنضبة) وتشد يديها غصنًا منها، وتقابل الشمس وبوجهها، وكلما زالت عن الشمس عن ساق منها حلت يدها منه، وأمسكت ساقًا آخر حتى تغيب الشمس، فتسيح في الأرض.

***

في الكناية...

* حكى إبراهيم بن السري الزجاج أنه كان بحضرة أحمد بن يحيى النحوي، إذ وقف عليه أعرابي ثم قال: أيكم ثعلب؟ قال: لعلك تريد أبا العباس؟ قال: إياه أردت، فقال: قل - أطال الله بقاءك - ما أراد عمنا صعصعة بن بجير الهلالي بقوله:

الحمـــــــد لله الحميـــــــد المنَّـــــــان

صـــــار الثريـــــد في رءوس القـــــضبان

فانكفأ ثعلب على أهل المجلس فقال: أحسن الكهل، فوسعوا له، فدخل المجلس، ثم قال: أجيبوا الكهل، فقال نفطويه: الجواب منك يا سيدي أحسن، فقال (بعضهم): يعني أنكم تعلمونه.

فقال أبو العباس: قد سمعت ما ردَّه القوم، قال: لا ولا أنت أعزك الله يعلم، قال: أراد أن السنبل قد أفرك، قال: صدقت أعزك الله، ولكن خذ لي من القوم بحق الفائدة! قال: بالله بروه، فبره الناس البرَّ الوافر.

***

الانتصار على الإفرنج...

*** قال سبط ابن الجوزي:**

حكى لي نجم الدين سلام، عن والده: أن الفرنج لما نزلت على دمياط، ما زال نور الدين عشرين يومًا يصوم ولا يفطر إلا على الماء، فضعف وكاد يتلف، وكان مهيبًا ما يجسر أحد يخاطبه في ذلك.

فقال إمامه يحيى: إنه رأى النبي ﷺ، في النوم يقول: يا يحيى، بشر نور الدين برحيل الفِرنج عن دمياط، فقلت: يا رسول الله، ربما لا يصدِّقني.

فقال: قل له: بعلامة يوم حارم، وانتبه يحيى.

فلما صلى نور الدين الصبح، وشرع يدعو، هابه - يحيى، فقال - نور الدين - له: يا يحيى تحدثني أو أحدثك؟ فارتعد يحيى وخرس، فقال - نور الدين - أنا أحدثك. رأيت النبي ﷺ هذه الليلة وقال لك كذا وكذا، قال: نعم، فبالله يا مولانا ما معنى قوله: بعلامة يوم حارم؟

فقال: لما التقينا العدو خفت على الإسلام، فانفردت ونزلت ومرغت وجهي على التراب، وقلت: يا سيدي من محمود في البين، الدين دينك والجند جندك، وهذا اليوم أفعل ما يليق بكرمك.

قال: فنصرنا الله عليهم.

***

أمدح بيت قالته العرب...

* قال المفضل بن محمد الضبي:

أصبحت يومًا ببغداد، في خلافة المهدي، وأنا من أشد الناس إضافة وضرًّا، لا أدري ما أعمل، حيرة وفكرًا.

فخرجت، فجلست على باب مترلي بالصراة، أفكر فيما أصنع، فإذا أنا

برسول المهدي، قد وقف علي.

فقال: أجب أمير المؤمنين، فراعني، وساء ظني.

فقلت: أدخل، فألبس ثيابي.

فقال: ما إلى ذلك سبيل.

فاشتد جزعي: وخشيت أن يأخذني بما كان بيني وبين إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن - رضي الله عنهم -.

فاستدعيت ثيابي، وجددت وضوءاً على الباب، ولم أخبر أهلي بقصتي، ولا بما هجم من الغم علي.

وقلت: إن كان خيرًا أو شرًّا، فسيبلغهم، فما معنى تعجيل الهم لهم.

ومضيت مع الرسول، حتى دخلت على المهدي، وأنا في نهاية الجزع، فسلمت، فرد علي السلام.

فقلت في نفسي: ليس إلا خيرًا.

فقال: اجلس يا مفضل، فجلست.

فقال: أخبرني عن أمدح بيت قالته العرب.

فتحيرت ساعة، لا أذكر شيئًا، ثم أجرى الله على لساني، أن قلت: قول الخنساء، فأشرق وجهه، وقال: حيث تقول ماذا؟

فقلت: حيث تقول:

وإن صـــــخرًا لوالينـــــا وســـــيِّدنا
وإن صـــــخرًا إذا نـــــشتو لنحَّـــــار

وإن صـــــخرًا لتـــــأتمُّ الهـــــداة بـــــه
كأنـــــه علـــــمٌ في رأســـــه نـــــار

فاستبشر به، وقال: قد أخبرت هؤلاء بهذا، وأومأ إلى جماعة بين يديه،

فلم يقبلوا مني.

قلت: كان أمير المؤمنين أحق بالصواب منهم.

قال: يا مفضل، حدثني الآن.

قلت: أيُّ الأحاديث؟

قال: أحاديث الأعراب.

فلم أزل أحدثه، بأحسن ما أحفظ منها، إلى أن كاد المنادي بالظهر أن ينادي.

ثم قال لي: كيف حالك يا مفضل؟

قلت: ما يكون حال رجل عليه عشرون ألف درهم دينار حالا، وليس في رزقه فضل لقضائها، وقصصت عليه قصة حالي ويومي في الإضافة.

فقال: يا عمر بن بزيع، ادفع إليه الساعة، عشرين ألف درهم يقضي بها دينه، وعشرين ألف درهم يصلح بها حاله، وعشرين ألف درهم يجهز بها بناته، ويوسع بها على عياله.

ثم قال: يا مفضل، ما أحسن ما قال ابن مطير، في مثل حالك:

وقد تعدر الدنيا فيضحي غنيُّها

فقيرًا ويغنى بعد بؤس فقيرُها

وكم قد رأينا من تكدر عيشه

وأخرى صفا بعد اكدرار غدُيرها

فأخذت المال، وانصرفت إلى بيتي بستين ألف درهم، بعد الإياس، وتوطين النفس على ضرب الرقبة.

***

في الكناية عند العرب...

* ومن كناية العامة إذا قال أحدهم: (سلامتها خير من كل شيء) فقد ولدت امرأته اثنين في بطن.

وإذا قال: (إنما رغبتنا في العفاف) فقد تزوج فقيرة قبيحة.

وإذا قال: (لقمة البيت أطيب من كل شيء) فقد فاتته دعوة!

وإذا قال: (ما بحلال الله من بأس) فقد تزوج أمة.

***

فصاحة النبي ...

* يروى عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال: ما رأيت أفصح من رسول الله ﷺ، ما سمعت كلمة عن عربي فصيح إلا وقد سمعتها منه، وسمعته ﷺ يقول: «**مات حتف أنفه**» ما سمعتها من عربي قبله!

***

من أمثال العرب....

* يقال: فلان كظل الذئب، أي: لا يستقيم على طريقة واحدة، كما أن ظل الذئب لا يستقيم مرة كذا ومرة كذا.

ويقال: رماه الله بداء الذئب: إذا دعا عليه بالجوع، لأن الذئب جائع في الثرى أوقاته، وتظن به البطنة لعدوه على الناس والماشية، وربما كان مجهودًا من الجوع.

والعرب تقول: أجوع من ذئب!

يقال: رماه الله بداء الذئب، في الدعاء عليه بالموت أيضًا، لأن الذئب لا يعتل إلا بعلة الموت!

* ويقال: عهد فلان عهد الغراب.

قال ابن دريد: سألت أبا حاتم عن عهد الغراب فقال: قالت العرب: كل طير يألف أنثاه إلا الغراب، فإنه إذا باضت الأنثى تركها وصار إلى غيرها!

* ويقال: لبس فلان لفلان جلد النمر، أي: أظهر العداوة له.

***

صفة الدنيا ...

* قيل لبعض المعمِّرين: صف الدنيا وأوجز.

قال: سُنَيَّات رخا وسنيات بلاء يولد مولود ويهلك هالك، ولولا المولود لباد الخلق، ولولا الهالك لضاقت الأرض، ثم أنشد:

وما الدهرُ إلا صدرُ يوم وليلة
ويولَدُ مولود ويفقدُ فاقد
وساعٍ لرزق ليس يُدْرِكُ قُوْتَهُ
ومُهدى إليه رزقُه وهو قاعد

***

أسألُ من فلحس ...

* يقال في المثل: إنه أسألُ من فلحس، وهو الذي يتحين طعام الناس، فيقال عنه: أتانا يتفلحس، وهو الذي تسميه العامة الطفيلي.

قال ابن حبيب: هو رجل من شيبان، كان عبيدًا عزيزًا، يسأل سهمًا في الجيش وهو في بيته، فيعطى لعزه، فإذا أعطيه: سأل لزوجته، فإذا أعطيه: سأل لبعيره!

وكان له ابن يقال له زاهر، فكان مثله، فقيل فيه: العصا من العصية!

***

ذلُّ السؤال...

* دنا سقاء من فقيه على باب سلطان، فسأله مسألة، فقال له: أهذا موضع المسألة؟ فقال له السقاء: وليس هذا موضع الفقيه.

* قال مالك بن طوق للعتابي: سألت فلانًا حاجة فرأيتك قليلًا في كلامك؟

فقال: كيف لا أُقلُّ في كلامي، معي حيرة الطلب، وذل المسألة، وخوف الرَّد؟!

***

في نقد الشِّعر ...

*وقف بهلول على رجل فقال: خبرني عن قول الشاعر:

وإذا نَبَا بِكَ مَنزلٌ فتحوَّلِ

كيف هو عندك؟

قال: جيد.

قال: فإن كان في الحبس كيف يتحوَّل؟!

فانقطع الرَّجل!

فقال بهلول: الصواب قول عنترة:

إذا كنت في دار يسوؤك أهلها

ولم تك مكبولًا بها فتحول

***

فإني لا أخاف الخير...

* وقف الإسكندر على يوذجانس فقال: أما تخافني؟ فقال: أخير أنت أم شر؟ فقال: بل خير، فقال يوذجانس: فإني لا أخاف الخير، بل أحبه!

***

في أحوال الجهلاء...

* سأل شاب جاهل أفلاطون: كيف قدرت على كثرة ما تعلمت؟

قال: لأني أفنيت من الزيت أكثر مما شربت أنت من الشراب!

* عيَّر ثعلب لبؤة بأنها لا تلد في عمرها إلا جروًا واحدًا!
فقالت: نعم، إلا أنه أسد!

***

* قال: نصر بن سيار لأعرابي: هل شبعت قط؟
فقال: أما من طعامك وطعام أبيك فلا!

***

* تزوج أعمى امرأة فقالت: لو رأيت حُسني وبياضي لعجبت!
فقال: اسكتي، لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء!

***

* دخل الشعبي الحمام وفيه رجل منكشف، فغمض عينه، فقال له الرجل: يا شيخ متى ذهبت عينك! قال: مُذْ هتك الله سترك!

***

* قال محمد بن إبراهيم الإمام لسعيد الدارمي: لو صلحت عليك ثيابي لخلعتها عليك!
قال: فديتك، إن لم تصلح علي ثيابكم صلحت عليَّ دنانيرك!

***

* رأى رجل رجلًا يأخذ حجارة أعدها لبنائه، فاستحيا منه، فقال الآخذ: لم أعلم أنها لك.
فقال: هب أنك لم تعلم أنها لي، ألم تعلم أنها ليست لك؟!

***

* قرئ على ثعلب – النحوي الكوفي المشهور – من كتاب بخط ابن الأعرابي خطأ، فرده، فقيل: إنه بخطه! فقال: هو خطأ، قيل: فيغير؟ قال: دعوه، ليكون عذرًا لمن أخطأ.

* قيل: لم ير الأحنف ضجرًا قط إلا مرة واحدة فإنه أعطى خياطًا قميصًا يخيطه له، فحبسه حولين كاملين، فأخذ الأحنف بيد ابنه بحر، فأتى الخياط وقال: إذا مت فادفع القميص إلى هذا!

***

* رأى أنوشروان فقيرًا جاهلًا، فقال: بئسما اجتمع على هذا: فقر ينغص دنياه، وجهل يفسد أخراه.

***

* أعجب ما وجد في السيرة خبر القاهر وخروجه إلى جامع المدينة في حشو جبَّة بغير ظهارة، يمد كفه إلى الناس بعد الخلافة ونفاذ أمره في أقطار الأرض، فتبارك الذي يُعزّ من يشاء ويُذل من يشاء!

***

* دخل اللصوص على رجل فقير ليس في بيته شيء، وجعلوا يفتشون. فانتبه الرجل، فرآهم، فقال: يا فتيان! هذا الذي تطلبونه بالليل قد طلبناه بالنهار فلم نجده!

***

الإيثار...

* قال أبو الحسن أحمد من يوسف بن البُهلول: حدثني أبي، قال: حدثني يعقوب بن شيبة، قال: أظل عيد من الأعياد رجلًا - يشير إلى نفسه - وعنده مائة دينار لا يملك سواها، فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له: قد أظلنا هذا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، ويستدعي منه ما يستعين به على ذلك فجعل المائة دينار في صرة وختمها، وأنفذها إليه، فلم تلبث الصرة عند الرجل إلا يسيرًا حتى وردت عليه -أي على الرجل- رقعة

أخ من أخوانه، وذكر إضاقته في العيد، ويستدعي منه مثل ما استدعاه، فوجه بالصرة إليه بختمها، وبقي الأول لا شيء عنده!

فكتب إلى صديق له وهو الثالث الذي صارت إليه الدنانير، يذكر حاله، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد فأنفذ إليه الصرة، بخاتمها، فلما عادت إليه صرته التي أنفذها بحالها، ركب إليه ومعه الصرة، وقال له: ما شأن هذه الصرة التي أنفذتها إليَّ؟ فقال له: إنه أظلنا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان! فكتبت إلى فلان أخينا، أستدعي منه ما ننفقه، فأنفذ إليَّ هذه الصرة، فلما وردت رقعتك علي أنفذتها إليك.

فقال: قم بنا إليه، فركبنا جميعًا إلى الثاني ومعهما الصرة، فتفاوضوا الحديث، ثم فتحوها فاقتسموا أثلاثًا.

قال أبو الحسن: قال لي أبي: والثلاثة: يعقوب بن شيبة، وأبو حسان الزيادي القاضي، وأنسيت أنا الثالث!.

***

الرغيفان...

* قال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة، أن ملكًا من الملوك نادى في مملكته: إني إن وجدت أحدًا يتصدق بصدقة قطعت يده.

فجاء سائل إلى امرأة؛ فقال: تصدقي عليَّ بشيء.

فقالت: كيف أتصدق عليك والملك قطع يد من يتصدق؟ قال: أسألك بوجه الله إلا تصدقت عليَّ بشيء، فتصدقت عليه برغيفين، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليه فقطع يديها، ثم إن الملك قال لأمه: دليني على امرأة جميلة لأتزوجها، فقالت: إن ههنا امرأة ما رأيت مثلها، لولا عيب بها.

قال: أي عيب هو؟ قالت: مقطوعة اليدين، قال: فأرسلي إليها، فلما رآها أعجبته – وكان لها جمال – فقالت: إن الملك يريد أن يتزوجك، قالت: نعم إن شاء الله.

فتزوجها وأكرمها، فنهد إلى الملك عدو فخرج إليهم، ثم كتب إلى أمه: انظري فلانه فاستوصي بها خيرًا وافعلي وافعلي معها، فجاء الرسول، فنزل على بعض ضراتها، فحسدنها فأخذن الكتاب فغيرنه، وكتب إلى أمه: انظري فلانه فقد بلغني أن رجالًا يأتونها فأخرجيها من البيت وافعلي وافعلي، فكتبت إليه الأم: إنك قد كذبت، وإنها لامرأة صدق.

فذهب الرسول إليهن، فنزل بهن فأخذن الكتاب فغيرنه فكتبن إليه: إنها فاجرة وقد ولدت غلامًا من الزنا، فكتب إلى أمه: انظري فلانة فاجعلي ولدها على رقبتها واضربي على جيبها وأخرجيها.

قال: فلما جاءها الكتاب قرأته عليها وقالت لها: اخرجي، فجعلت الصبي على رقبتها وذهبت، فمرت بنهر وهي عطشانة فنزلت لتشرب والصبي على رقبتها فوق في الماء فغرق، فجلست تبكي على شاطئ النهر، فمر بها رجلان فقالا: ما يبكيك؟ فقالت: ابني كان على رقبتي وليس لي يدان فسقط في الماء فغرق، فقالا لها: أتحبين أن يرد الله عليك يديك كما كانتا؟ قالت: عم! فدعوا الله ربهما لها فاستوت يداها، ثم قالا لها: أتدرين من نحن؟ قالت: لا. قالا: نحن الرغيفان اللذان تصدقت بهما [(١)].

***

اعلمني ما قصة الرغيف؟....

* استدعى نائب مصر يومًا ابن الفرات فقال له: ويحك إن نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك، فأراك في المنام

([1]) البداية والنهاية ٩/٢٤٧.

تمنعني برغيف، وقد رأيتك في المنام من ليالٍ، وإني أريد القبض عليك، فجعلت تمتنع عليَّ، فأمرت جندي أن يقاتلوك، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها تتقي الضرب برغيف في يدك، فلا يصل إليك شيء، فأعلمني ما قصة هذا الرغيف؟ فقال: أيها الوزير إن أمي منذ كنت صغيرًا كل ليلة تضع تحت وسادتي رغيفًا، فإذا أصبحت تصدقت به عني، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت، فلما ماتت فعلت أنا ذلك من نفسي، فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفًا فأتصدق به، فعجب الوزير من ذلك، وقال: والله لا ينالك مني بعد اليوم سوء أبدًا، ولقد حسنت نيتي فيك، وقد أحببتك [1].

***

معاناة الكبر...

* دخل معن زائدة على المأمون وقد كبر، فقال له المأمون: إلى أي حال صيرك الكبر؟ قال: إلى أن أعثر ببعرة، وتقيدني شعرة، فقال: كيف حالك في المأكول والمشروب؟ قال: إن جعت حردت، وإن شبعت وجعت، قال: فكيف حالك في النوم؟ قال: إن كنت في ملأ نعست، وإن صرت إلى فراشي أرقت، قال: فكيف حالك مع النساء؟ قال: عندي منهن ضروب: أما القباح فلست أريدهن، وأما الملاح فلسن يردنني، قال المأمون: لا يحل أن يستتاب مثلك، وأضعفوا له رزقه، وألزموه بيته، يركب إليه ولا يركب إلى أحد.

***

---

(1) البداية والنهاية ١٥١/١١.

في نقد الشعر...

* روى عن الأصمعي أنه قال: أصدق بيت قالته العرب قول امرئ القيس:

الله أنجـــــح مـــــا طَلَبْـــــتَ بـــــه
والـــــبر خـــــير حقيبـــــة الرَّجـــــل

وأنصف بيت قالته العرب قول حسان بن ثابت، رادًّا عن النبي ﷺ، حيث يقول:

أتهجـــــوه ولـــــستَ بكـــــفء؟
فـــــشرُّكُما لخـــــير كمـــــا الفـــــداءُ

ولما أنشد حسان بن ثابت ذلك على النبي - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - قال: «**هذا أنصف بيت قالته العرب**».

قال الأصمعي: وأسير بيت قالته العرب قول القطامي:

والنـــاسُ مَـــنْ يلـــقَ خـــيرًا قـــائلون لـــه
مـــا يـــشتهي، ولام المخطـــئ الهَبَـــلُ

وأحكم بيت قالته العرب قوة طرفة:

ستبدي لـــك الأيـــام مـــا كنـــت جاهلًـــا
ويأتيـــك بالأخبـــار مَـــن لم تـــزود

وأمدح بيت قالته العرب قول جرير في عبد الملك بن مروان، حيث يقول:

ألـــستُم خـــيرَ مـــن ركـــب المطايـــا
وأنـــدى العـــالمين بطـــون راح

وأهجى بيت قالته العرب قول الأخطل في جرير، حيث يقول:

قـــومٌ إذا اســـتَنْبَحَ الأضـــيافُ كلـــبَهُم

قـــالوا لأمهـــمُ: بـــولي علـــى النـــار

وأحمق بيت قالته العرب قول أبي محجن، حيث قال:

إذا مـــتُّ فـــادفني إلى أصـــل كرمـــة

يـــروي عظـــامي بعـــد مـــوتي عروقهـــا

ولا تـــــدفنَنِّي في الفـــــلاة، فـــــإنني

أخـــاف إذا مـــا مـــتُّ ألا أذوقهـــا

وأشجع بيت قالته العرب قول العباس بن مرداس السلمي، حيث يقول:

أكـــــرُّ علـــــى الكتيبـــــة لا أبـــــالي

أحتفـــــي كـــــان فيهـــــا، أم ســـــواها

قال القاضي التنوخي: ترتب الأصمعي هو هذا، وقد رويت عن غيره زيادات، قال: أشعر بيت قالته العرب:

قليـــــل التـــــشكي للمـــــصائب ذاكـــــرًا

مـــن اليـــوم أعقـــاب الأحاديـــث في غـــد

وقال محمد بن سلام:

شـــقيت بنـــو أســـد بـــسعي مـــساور

إن الـــــشقيَّ بكـــــل حبـــــل يخنـــــقُ

قال أبو عمرو: أمدح بيت قالته العرب قول الأخطل، حيث يقول:

شُـــمْسُ العـــداوة حـــتى يُـــستقادَ لهـــم

وأعظـــمُ النـــاس أحلامًـــا إذا قـــدروا

وروي عن علي بن الجهم أنه قال للمعتصم: أمدح بيت قالته العرب:

يجـــود بـــالنفس إن ضـــنَّ الجـــواد بهـــا

والجـــود بـــالنفس أقـــصى غايـــة الجـــود

وأهجى بيت قالته العرب:

فبحـــــت منــــاظرة فحـــــين خبرتـــــه
حـــــسنت منــــاظره لقـــــبح المخـــــبر

وأرثى بيت قالته العرب قول بعضهم:

أرادوا ليُخفـــوا قـــبره عـــن عـــدوه
فطيـــب تُـــراب القـــبر نمَّ علـــى القـــبر

***

الفوائد لابن القيم الجوزية ...

* **﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** [الملك: ١٥].

أخبر – سبحانه – أنه جعل الأرض ذلولًا منقادة للوطء عليها وحفرها وشقها والبناء عليها، ولم يجعلها مستصعبة ممتنعة على من أراد ذلك منها.

ومن بركتها أن الحيوانات كلها وأرزاقها وأقواتها تخرج منها.

ومن بركتها أنك تودع فيه الحب فتخرجه لك أضعاف أضعاف ما كان.

ومن بركتها أنها تحمل الأذى على ظهرها وتخرج لك من بطنها أحسن الأشياء وأنفعها، فتواري منه كل قبيح، وتخرج له كل مليح.

ومن بركتها أنها تستر قبائح العبد وفضلات بدنه وتواريها، وتضمه وتؤويه وتخرج له طعامه وشرابه، فهي أحمل شيء للأذى وأعوده بالنفع.

* من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه.

– للعبد رب هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

- المخلوق إذا خفته استوحشت منه وهربت منه، والرب تعالى إذا خفته أنست به وقربت به.

- لما طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة عوقب بالخروج منها، ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة صاحب الرؤيا لبث فيه بضع سنين.

- دخلت دار الهوا فقامرت بعمرك!

- قيل لبعض العباد: إلى كم تتعب نفسك؟ قال: راحتها أريد.

* كان ذو البجارين - واسمه عبد الله بن عبد بن نُهم - يتيمًا في الصغر، فكفله عمه، فنازعته نفسه إلى اتباع الرسول ﷺ فهم بالنهوض، فإذا بقية المرض مانعة، فقعد ينتظر العم، فلما تكاملت صحته نفد الصبر، فناداه الضمير الوجد:

إلى كـــم حَبْـــسَها تـــشكو المـــضيقا

إثرْهـــــا ربمـــــا وجـــــدت طريقًـــــا

فقال: يا عم طال انتظاري لإسلامك وما أرى منك نشاطًا.

فقال له عمه: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك.

فصاح لسان الشوق: نظرة من محمد أحب إليَّ من الدنيا وما فيها!

***

صيد الخاطر لابن الجوزي ...

* إني تدبرت أحوال أكثر العلماء والمتزهدين، فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها...

فالعالم منهم يغضب إن رد عليهم خطؤه، والواعظ متصنع بوعظه...

فأول عقوباتهم: إعراضهم عن الحق شغلًا بالخلق.

ومن خفي عقوباتهم: سلب حلاوة المناجاة ولذة التعبد! إلا رجال مؤمنون

ونساء مؤمنات، يحفظ الله بهم الأرض بواطنهم كظواهرهم، بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم، بل أحلى، وهممهم عند الثريا، بل أعلى، أن عُرفوا تنكروا، وإن رُئيت لهم كرمة أنكروا!!

* قالت أم الدرداء لرجل: هل عملت بما علمت؟ قال: لا. قالت: فلم تستكثر من حجة الله عليك؟!

* قال عمر بن المهاجر: قال لي عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتني قد حدت عن الحق فخذ بثيابي وهزني، وقل: ما لك يا عمر؟!

* لقد سبرت السلف كلهم فأردت أن أستخرج منهم من جمع بين العلم حتى صار من المجتهدين، وبين العمل حتى صار قدوة للعابدين، فلم أر أكثر من ثلاثة: أولهم الحسن البصري، وثانيهم سفيان الثوري، وثالثهم أحمد بن حنبل، وقد أفردت لأخبار كل واحد منهم كتابًا، وما أنكر علي من ربَّعهم بسعيد بن المسيب.

وإن كان في السلف سادات، إلا أكثرهم غلب عليه فن.

* تأملت حالة عجيبة، وهي أن المؤمن تنـــزل تنزل به النازلة فيدعو، ويبالغ، فلا يرى أثرًا للإجابة، فإذا قارب اليأس، نظر حينئذ إلى قلبه، فإن كان راضيًا بالأقدار، غير قنوط من فضل الله – عز وجل – فالغالب تعجيل الإجابة حينئذ، لأن هناك يصلح الإيمان ويهزم الشيطان، وهناك تبين مقادير الرجال، وقد أشير إلى هذا في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ**﴾ [البقرة: ٢١٤].

فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك ليبلو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك

بصبرك، إلى غير ذلك، وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس.

وكل واحدة من هذه الأشياء تقوي الظن في فضله، وتوجب الشكر له، إذ أهلك بالبراء للالتفات إلى سؤاله، وفقر المضطر إلى اللجأ إليه غنى كله.

* لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه.

ولقيت عبد الوهاب الأنماطي، فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى، واتصل بكاؤه، فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل - بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل.

ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت، شديد التحري فيما يقول: متقنًا محققًا، وربما سُئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن، وكان كثير الصوم والصمت.

فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما.

* ما زلت أسمع عن جماعًا من الأكابر وأرباب المناصب أنهم يشربون الخمور، ويفسقون، ويظلمون، ويفعلون أشياء توجب الحدود.

فبقيت أتفكر، أقول: متى يثبت على مثل هؤلاء ما يوجب حدًّا؟ ولو ثبت فمن يقيمه؟!

وأستبعد هذا في العادة، لأنهم في مقام احترام؛ لأجل مناصبهم.

فبقيت أتفكر في تعطيل الحد الواجب عليهم، حتى رأيناهم قد نكبوا وأصيبوا وأخذوا مرات، ومرت عليهم العجائب.

فقوبل ظلمهم بأخذ أموالهم، وأخذت منهم الحدود مضاعفة بعد الحبس

والقيد الثقيل، والذل العظيم، وفيهم من قُتل بعد ملاقاة كل شدة، فعلمت أنه ما يُهمل شيء، فالحذر الحذر، فإن العقوبة بالمرصاد.

* – سبحان – المتصرف في خلقه بالاغتراب والإذلال ليبلو صبرهم، ويظهر جواهرهم في الابتلاء.

هذا آدم – عليه السلام – تسجد له الملائكة، ثم بعد قليل يُخرج من الجنة.

وهذا نوح – عليه السلام – يُضرب حتى يُغشى عليه، ثم بعد قليل ينجو في السفينة، ويهلك أعداؤه.

وهذا الخليل – عليه السلام – يُلقى في النار، ثم بعد قليل يخرج إلى السلامة.

وهذا الذبيح يضطجع مستسلمًا، ثم يسلم ويبقى المدح.

والأماكن العالية للحفظ خير من السوافل، والخلوة أصل، وجمع الهم أصل الأصول.

وترفيه النفس من الإعادة يومًا في الأسبوع، ليثبت المحفوظ، وتأخذ النفس قوة، كالبنيان يترك أيامًا حتى يستقر، ثم يبنى عليه.

* قال الكلب للأسد: يا سيد السباع، غير اسمي فإنه قبيح.

فقال له: أنت خائن، لا يصلح لك غير هذا الاسم.

قال: فجربني.

فأعطاه شق لحم، وقال: احفظ لي هذه إلى غد، وأنا أغير اسمك، فجاع وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر، فلما غلبته نفسه قال: وأي شيء باسمي؟ وما كلب إلا اسم حسن، فأكل.

وهكذا الخسيس الهمة، المختار عاجل الهوى على آجل الفضائل...

* حضرنا بعض أغذية أرباب الأموال، فرأيت العلماء أذل الناس

عندهم، فالعلماء يتواضعون لهم، ويذلون لموضع طمعهم فيهم، وهم لا يحفلون بهم؛ لما يعلمونه من احتياجهم إليهم، فرأيت هذا عيبًا في الفريقين.

أما في أهل الدنيا، فوجه العتب أنهم كانوا ينبغي لهم تعظيم العلم، ولكن لجهلهم بقدره فاتهم، وآثروا عليه كسب الأموال.

فلا ينبغي أن يطلب منهم تعظيم ما لا يعرفون ولا يعلمون قدره.

وإنما أعود باللوم على العلماء، وأقول: ينبغي لكم أن تصونوا أنفسكم التي شرفت بالعلم عن الذل للأنذال.

* مما أفادتني تجارب الزمان: أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه، مهما كانت مترلته، وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يومًا ما، كمالًا يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه.

لكن كم من محتقر احتيج إليه، فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جل نفع وقعت الحاجة في دفع ضر.

ولقد احتجت في عمري إلى ملاطفة أقوام، ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم.

واعلم أن المظهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا تعلم؛ لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربًا، وقد يلوح منه مضرب خفي، وإن اجتهد المتدرع في ستر نفسه، فيغتنمه ذلك العدو.

فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في أن لا يظاهر بالعداوة أحدًا، لما بينت من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض، وإقدار بعضهم على ضرر بعض.

وهذا فصل مفيد، تبين فائدته للإنسان مع تقلب الزمان.

* رأيت النفس تنظر لذات أرباب الدنيا العاجلة، وتنسى كيف حصلت، وما يتضمنها من الآفات.

وبيان هذا: أنك إن رأيت صاحب إمارة وسلطنة، فتأملت نعمته، وجدتها مشوبة، فإن لم يقصد هو الشر حصل من أعماله.

ثم هو خائف مترعج في كل أموره، حذر من عدو أن يسيئه، قلق ممن هو فوقه أن يعزله، ومن نظيره أن يكيده.

ثم أكثر زمانه يمضي في خدمة من يخافه من السلاطين، وفي حساب أموالهم وتنفيذ أوامرهم، التي لا تخلو من أشياء منكرة.

وإن عزل أربي ذلك على جميع ما نال من لذة.

ثم تلك اللذة تكون مغمرة بالحذر فيها ومنها وعليها.

وإن رأيت صاحب تجارة رأيته قد تقطع في البلاد، فلم ينل ما نال إلا بعد علو السن، وذهاب زمان اللذة.

كما حكي ان رجلًا من الرؤساء كان حال شبيبته فقيرًا، فلما كبر استغنى، وملك أموالًا، واشترى عبيدًا من الترك وغيرهم، وجواري من الروم، فقال: هذه الأبيات في شرح حاله:

ما كنت أرجوه إذ كنت ابن عشرين
ملكته بعد أن جاوزت سبعينًا
تطوف بي من الأتراك أغزلة
مثل الغصون على كثبات يبرينا
وخرد من بنات بأساريع منعمة
تكاد تعقد من أطرافها لينًا
يردن إحياء مَيْت لا حرَاك به
وكيف يحيين ميتًا صار مدفونًا

قـــالوا أنينـــك طـــوال الليـــل يـــسهرنا
فمـــا الـــذي تـــشتكي قلـــت الثمانينـــا

وهذه الحالة هي الغالبة، فإن الإنسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحبه إلا عند قرب رحيله.

* حضر عندي رجل شيخ ابن ثمانين سنة، فاشتريت منه دكانًا، وعقدت معه العقد، فلما افترقنا غدر بعد أيام، فطلبت منه الحضور عند الحاكم فأبى، فأحضرته، فحلف باليمين الغموس أنه لم يبعني الدكان! فقلت: ما تدور عليه السنة!

وأخذ يبرطل الظلمة ليحول بيني وبينه!

فلما لم أتنازل أخذ هو وأقاربه يأخذون عرضي... ثم سعى بي إلى السلطان سعاية يحرض فيها من الكذب ما أدهشني، ويبرطل مالًا لخلق من الظلمة، فبالغوا وسعوا، إلا أن الله تعالى نجاني من شرهم.

ثم إني أقمت عليه البينة عند الحاكم، فقال بعض أرباب الدنيا للحاكم: لا تحكم له، فوقف عن الحكم بعد ثبوت البينة عنده، فرأيت من هذا الحاكم ومن حاكم آخر أعلى منه من ترك إنفاذ الحق حفظًا لرئاستهم ما هون عندي ما فعله ذلك الشيخ حفظًا لماله؛ لجهله، وعلم هؤلاء.

فبتين لي من الأمر أن العادات غلبت على الناس، وأن الشرع أعرض عنه.

فالإنسان لو ضرب السياط ما أفطر في رمضان! لأنها عادة قد استمرت، وهذا الشيخ كم رأيته يصلي، ويحافظ على الصلاة، ثم لما خاف فوت عَرَضِه ترك الشرع جانبًا!

وكم قد رأيت أولئك الحكام يتعبدون ويطلبون العلم، غير أنهم لما خافوا

على رئاستهم تركوا جانب الدين.

ثم إن الله تعالى نصرني عليه، وتقدم الحاكم بإنفاذ ما ثبت عنده.

ودارت السنة، فمات الشيخ على فقر وحاجة!

فنسأل الله – عز وجل – التوفيق للانقياد لشرعه، ومخالفة أهوائنا.

* كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي.

* تاب على يديَّ في مجاس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس.

وكم سألت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل.

ولقد جلست يومًا رأيت حولي أكثر من عشرة آلاف، ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه، فقلت: كيف بك إن نجوا وهلكت؟

فصحت بلسان وجودي: إلهي وسيدي، إن قضيت عليَّ بالعذاب غدًا فلا تعلمهم بعذابي، صيانة لكرمك، لا لأجلي، لئلا يقولوا: عذب من دَل عليه.

* لقد رأيت من الناس عجبًا، حتى من يتزيى بالعلم! إن رآني أمشي وحدي أنكر علي، وإن رآني أزور فقيرًا عظم ذلك، وإن رآني أنبسط بتبسم نقصت من عينه!

فقلت: واعجبًا! هذه كانت طريق الرسول ﷺ والصحابة – رضي الله عنه –، فصارت أحوال الخلق نواميس لإقامة الجاه.

* كان أبو مسلم الخرساني في حال شبيبته لا يكاد ينام، فقيل له في

ذلك، فقال: ذهن صاف، وهمٌّ بعيد، ونفس تتوق إلى معاني الأمور، مع عيش كعيش الهمج الرعاع، قيل: فما الذي يبرد غليلك؟ قال: الظفر بالملك، قيل: فاطلبه، قال: لا يطلب إلا بالأهوال، قيل: فاركب الأهوال، قال: العقل مانع، قيل: فما تصنع؟ قال: سأجعل من عقلي جهلًا، وأحاول به خطرًا لا ينال إلا بالجهل، وأدبر بالعقل ما لا يحفظ إلا به، فإن الخمول أخو العدم.

فنظرت إلى حال هذا المسكين، فإذا هو قد ضيع أهم المهمات وهو جانب الآخرة، وانتصب في طلب الولايات، فكم فتك وقتل؟ حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا، ثم لم يتنعم في ذلك غير ثمان سنين، ثم اغتيل، ونسي تدبير العقل، فقتل ومضى إلى الآخرة على أقبح حال.

* ينبغي للعاقل أن ينظر إلى الأصول فيمن يخالطه، ويعاشره ويشاركه، ويصادقه، ويزوجه، أو يتزوج إليه، ثم ينظر بعد ذلك في الصور، فإن صلاحها دليل على صلاح الباطن.

وإن المرأة الحسناء إذا كانت من بيت رديء، فقل أن تكون صينة، وكذلك المخالط والصديق والمعاشر.

وقد روى أبو بكر الصولي قال: حدثني الحسين بن يحيى، عن إسحاق،قال: دعاني المعتصم يومًا، فأدخلني معه الحمام، ثم خرج فخلا بي، وقال: يا أبا إسحاق، في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه.

إن أخي المأمون اصطنع قومًا فأنجبوا، واصطفيت أنا مثلهم فلم ينجبوا، قلت: ومن هم؟ قال: اصطنع طاهرًا وابنه، وإسحاق، وآل سهل، فقد رأيت كيف هم، واصطنعت أنا الأفشين فقد رأيت إلى ما آل أمره، وأسناش فلم أجده شيئًا، وكذلك إيتاخ ووصيف.

قلت: يا أمير المؤمنين، ههنا جواب، عليَّ أمان من الغضب، قال: لك ذلك، قلت: نظر أخوك إلى الأصول، فاستعملها، فأنجبت فروعها، واستعملت فروعًا لا أصول لها، فلم تنجب.

فقال: يا أبا إسحاق مقاساة ما مرَّ بي طول هذه المدة أهون عليَّ من هذا الجواب.

***

* روي أن رجلًا من الأشراف كان لا يقوم لأحد، ولا يخشى أحدًا، فجاز عليه بعض الوزراء وحيَّى، فلم يرد، ولم يقم، فقال ذاك الوزير لرجل: أخبر فلانًا أني قد كلمت أمير المؤمنين في حقه، وقد أمر له بمائة ألف، فليحضر ليقبضها، فأخبره ذلك الرجل، فقال الشريف: إن كان أمر لي بشيء فلينفذه لي، وإنما مقصوده أن يضع مني بالتردد عليه.

***

* من علم قرب الرحيل من مكة، استكثر من الطواف، خصوصًا إن كان لا يؤمل العود.

***

* قال عبد المجيد بن عبد العزيز: كان عندنا بخراسان رجل كتب مصحفًا في ثلاثة أيام، فلقيه رجل فقال: في كم كتب هذا؟ فأومأ بالسبابة والوسطى والإبهام، وقال: في ثلاث: **﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾** [ق: ٣٨]، واللغوب: التعب والإعياء.

فجفت أصابعه الثلاث، فلم ينتفع بها فيما بعد!

***

* غطى الحسد على أقوام، فتركوا الحق وقد عرفوه!

فأمية بن أبي السلط يقر برسول الله ﷺ ويقصده ليؤمن به، ثم يعود فيقول: لا أؤمن برسول ليس من ثقيف!

وأبو جهل يقول: والله ما كذب محمد قط، ولكن إذا كانت السدانة والحجابة في بني هاشم، ثم النبوة، فما بقي لنا؟

وأبو طالب يرى المعجزات ويقول: إني لأعلم أنك على الحق، ولولا أن تعيرني نساء قريش لأقررت بها عينك!

فنعوذ بالله من ظلمه الحسد، وغيابة الكبر، وحماقة هوى يغطي على نور العقل، ونسأله إلهام الرشد، والعمل بمقتضى الحق.

***

* أيحسن لمن باع شاة أن يغضب على المشتري إذا ذبحها أو يتغير قلبه؟

والله لو قال المالك – سبحانه –: إنما خلقناكم ليستدل على وجودي، ثم أنا أفنيكم ولا إعادة، فكان يجب على النفوس العارفة به أن تقول: سمعًا لما قلت وطاعة؛ وأي شيء لنا فينا حتى نتكلم؟!

فكيف وقد وعد بالأجر الجزيل، والخلود في النعيم الذي لا ينفد؟

لكن طريق الوصول تحتاج إلى صبر على المشقة.

***

* قال السجان لأحمد بن حنبل: هل أنا من أعوان الظلم؟ فقال: لا، أنت من الظلمة، إنما أعوان الظلمة من أعانك في أمر!

***

* وحدثني بعض أصحابنا عن حالة شاهدها من هذا الفن، قال: كان فلان له ولدان ذكران وبنت، وله ألف دينار مدفونة، فمرض مرضًا شديدًا فاحتوشته أهله فقال لأحد ابنيه: لا تبرح من عندي فلما خلا به قال له: إن

أخاك مشغول باللعب بالطيور، وإن أختك لها زوج تركي، ومتى وصل من مالي إليهما شيء أنفقوه في اللعب، وأنت على سيرتي وأخلاقي، ولي في الموضع الفلاني ألف دينار، فإذا أنا مت فخذها وحدك.

فاشتد بالرجل المرض، فمضى الولد فأخذ المال، فعوفي الأب، فجعل يسأل الولد أن يرد المال إليه، فلا يفعل، فمرض الولد فأشفى، فجعل الأب يتضرع إليه ويقول: ويحك! خصصتك بالمال دونهم، فتموت فيذهب المال، ويحك لا تفعل، فما زال به، حتى أخبره بمكانه، فأخذه، ثم عوفي الولد، ومضت مدة، فمرض الأب، فاجتهد الولد أن يخبره بمكان المال، وبالغ، فلم يخبره، ومات، وضاع المال!!

كتابًا لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، كتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب بن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشاب، وكانت أحمالًا، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه.

ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب.

فاستفدت بالنظر فيها، من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم، وعباداتهم، وغرائب علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب، ولله الحمد.

***

* إذا أردت العيش فابعد عن الحسود؛ لأنه يرى نعمتك، فربما أصابها

بالعين، فإن اضطررت إلى مخالطته فلا تفش إليه سرك، ولا تشاوره، ولا يغرنك تملقه لك، ولا ما يظهره من الدين والتعبد، فإن الحسد يغلب الدين.

وقد عرفت أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل، وأن أخوة يوسف باعوه بثمن بخس.

وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء، وعبد الله بن أبي من الرؤساء، أخرجهما حد رسول الله ﷺ إلى النفاق وترك الصواب.

ولا ينبغي أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه فإنه في أمر عظيم متصل، لا يرضيه إلا زوال نعمتك.

وكلما امتدت عذابه، فلا عيش له، وما طاب عيش أهل الجنة إلا حين نزع الحسد والغل من صدورهم، ولولا أنه نزع تحاسدوا وتنغص عيشهم.

***

* استأذن رجلٌ على قاضي القضاة ابن أبي دؤاد وقال: قولوا أبو جعفر بالباب، فلما سمع هش لذلك، وقال: ائذنوا له.

فدخل، فقام، وتلقاه، وأكرمه، وأعطاه خمسة آلاف، وودعه، فقيل له: رجل من العوام، فعلت به هذا؟ قال: إني كنت فقيرًا، وكان هذا صديقًا، فجئته يومًا، فقلت له: أنا جائع، فقال: اجلس، وخرج فجاء بشواء وحلوى وخبز، فقال: كل فقلت: كل معي، قال: لا، قلت: والله لا آكل حتى تأكل معي، فأكل، فجعل الدم يجري من فمه، فقلت: ما هذا؟ فقال: مرض، فقلت: والله لا بد أن تخبرني، فقال: إنك لما جئتني لم أكن أملك شيئًا، وكانت أسناني مضببة بشريط من ذهب، فنزعته، واشتريت به، فهلا أكافئ مثل هذا؟

* قال ابن سيرين: عيرت رجلًا بالإفلاس فأفلست.

ومثل هذا كثير.

ومن أعجب ما سمعت فيه عن الوزير ابن حصير، الملقب بالنظام، أن المقتفي غضب عليه، وأمر بأن يؤخذ منه عشرة آلاف دينار؟ فقال: ما يؤخذ مني عشرة ولا خمسة ولا أربعة، قالوا: من أين لك؟ قال: إني ظلمت رجلًا، فألزمته ثلاثة آلاف، فما يؤخذ مني أكثر منها، فلما أدى ثلاثة آلاف دينار وقع الخليفة بإطلاقه ومسامحته في الباقي.

وأنا أقول عن نفسي: ما نزلت بي آفة أو غم أو ضيق صدر إلا بزلل أعرفه، حتى يمكنني أن أقول: هذا بالشيء الفلاني، وربما تأولت فيه بعد، فأرى العقوبة.

فينبغي للإنسان أن يترقب جزاء الذنوب، فقل أن يسلم منه.

***

* قال الأصمعي: مررت بكناس في بعض الطرق وهو ينشد ويقول:

وأكـــــرم نفـــــسي إنـــــني أن أهنتـــــها

وحقـــك لم تكـــرم علـــى أحـــد بعـــدي!

فقلت له: وعن أي شيء أكرمتها وهذه الكناسة على عاتقك؟

قال: عن الوقوف بباب مثلك!

***

* دخل صبي على المنصور، فجعل يسأله عن أبيه، وكلما يسأله عن أمر من أموره يقول: فعل أبي رحمه الله كذا، وصنع أبي رحمه الله كذا!

فزجره الربيع – حاجب المنصور – وقال: إلى متى تترحم على أبيك في مجلس أمير المؤمنين؟!

فالتفت الصبي إليه، وقال: إنك لا تعرف حلاوة الآباء!

فأخجله، وكان الربيع لقيطًا.

***

* قال ابن الجوزي في كتاب (أنس الفريد وبغية المريد): قال ابن عباس: في القرآن (عشرة أطيار) أسماها الله تعالى بأسمائها: البعوضة في سورة البقرة، والغراب في سورة المائدة، والجراد في سورة الأعراف، والنحل في سورة النحل، والسلوى في سورة طه، والنملة في سورة النمل، والهدهد فيها أيضًا، والذباب في سورة الحج، والفراش في سورة القارعة، والأبابيل في سورة الفيل، فهذه عشرة أطيار.

***

* قيل لإبراهيم بن أدهم: لم لا تصحب الناس؟

قال: إن صحبت من هو فوقي تكبر علي، وإن صحبت من هو دوني لم يعرف حقي، وإذا صحبت من هو مثلي حسدني، فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملالة، ولا في أنسه وحشة، ولا في وصله انقطاع وأنشد يقول:

فلو قطعتني في الحب إربًا

لما حن الفؤاد إلى سواكا!

* قال لقمان لابنه: لكل إنسان بيتان: بيت غائب، وبيت شاهد، فلا يلهينك بيتك الحاضر الذي فيه عمرك القليل، عن بيتك الغائب الذي فيه عمرك الطويل!

***

* يقال: إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها، فإن علامة ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه، كأنها تنظر إلى إنسان غيره، وإن كانت

محبة له، لا تقلع عن النظر إليه!

***

* قال أبو بكر محمد بن الحسين الفقيه الآجري: ادَّعى رجل مالًا بحضرة القاضي حربويه – قاضي مصر–، فقال المدعى عليه: ما له عليَّ حق، (بضم اللام).

فقال القاضي: أتعرف الأعراب؟ فقال: نعم، قال: قم، قد ألزمتك المال!

***

* وقيل فقه العرب: هل يجوز السجود على الخد؟

قال: نعم، إذا كان طاهرًا.

الخد: الطريق.

***

* وقيل له: رجل توضأ، ثم غرف رأسه، هل يضره؟

قال: لا.

غرف رأسه: حلقه.

***

* وقيل له: هل يجوز أكل العوارض؟

قال: نعم.

العارضة: الناقة أو الشاة، تذبح لشيء يعتريها.

***

* وقيل له: إذا جلس الرجل من بغداد، هل له أن يقصر الصلاة؟

قال: نعم.

يقال: جلس الرجل إذا أتى نجدًا، فهو جالس!

***

* وقيل له: هل للرجل أن يترل من غير إذن أبويه؟

قال: إن كان فرضًا فنعم!

يقال: نزل الرجل: إذا حج.

***

* وقيل له: هل على الفيل حَجْر؟

قال: نعم إذا كان مفسدًا لماله؟

الفيل: الرجل الضعيف الرأي.

***

* وقيل له: هل تجوز صلاتي المفتري؟

قال: نعم، إلا أن يكون غير ذكي ولا مدبوغ.

المفتري: الذي عليه الفرو.

***

* وقيل له: هل يصلى على المزكوم إذا مات من يومه؟

قال: نعم.

المزكوم: المولد الملقى.

***

* وسئل: هل يفسد ريق الطَّوافَّة الماء؟

قال: لا.

الطوافة: السِّنَّوْر.

***

* وسئل: هل يجوز التيمم بالعجلة؟

قال: نعم، إذا جفت.

العجلة: الطينة.

***

* وسئل: هل يقطع الصبي في السلة؟

قال: لا.

السلة: السرقة.

***

* وقيل له: هل يعد من مع الفرس الحشو؟

قال: نعم.

الفرش: الإناث من الضأن، والحشو: أولادها.

***

* وقيل له: بَرٌّ سقطت في هلال؟

قال: نجس.

البر: الفأرة.

***

* وسئل: ما يجب في الحاضرتين؟

قال: الدية.

الحاضرتان: الأذنان والحواضر: الآذان.

***

* وسئل ما تقول في الصلاة في الملقوط؟

قال: لا بأس.

الملقوط: المرفوء.

***

* وسئل: أللشبعان أن يقصر الصلاة؟

قال: له ذلك، مع مسافة القصر.

الشبعان: الآمن.

* وسئل: هل يطوف بالبيت عاتكة؟

قال: أكره ذلك.

العاتكة: المتضمخة بالخلوق والطيب.

***

* وقيل له: رجل خاف على نفسه الغيم، هل له أن يتيمم؟

قال: له ذلك.

الغيم: العطش وحرارة الجوف.

***

* وقيل له: يتوضأ بماء الفقير؟

قال: كل ماء طاهر فإنه يتوضأ به.

والفقير: البئر.

***

* وقيل له: هل ما تقول في الفلاح مع الفاضح؟

قال: عليه القضاء.

الفلاح: السحور، والفاضح: الصبح.

* وقيل له: محرم قتل الغوغاء؟

قال: في كل واحدة قبضة من طعام.

الغوغاء: الجراد.

***

* وقيل له: هل يصلى على الأرض الممصورة؟

قال: لا بأس بذلك إذا أمكن.

الممصورة: الممطورة.

***

الخائن لا يؤتمن...

* عن مبشر الرومي، قال:

لما خرج معز الدولة في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وانهزم ناصر الدولة من بين يديه، أنفذني مولاي، لأكون بحضرته، وحضرة أبي جعفر الصيمري كاتبه، وأوصل كتبه إليهما.

فسمعت حاشية الصيمري، يتحدثون أنه جاء إليه ركابي من ركابيته، وقال له: أيها الأمير، إن قتلت لك ناصر الدولة، أي شيء تعطيني؟

قال له: ألف دينار.

قال: فأذن لي أن أمضي وأحتال في اغتياله، فأذن له.

فمضى إلى أن دخل عسكره، وعرف موضع مبيته من خيمته، فرصد الغفلة حتى دخلها ليلًا، وناصر الدولة نائم، وبالقرب من مرقده شمعة مشتعلة، وفي الخيمة غلام نائم.

فعرف موضع رأسه من المرقد، ثم أطفأ الشمعة، واستل سكينًا طويلًا ماضيًا كان في وسطه، وأقبل يمشي في الخيمة، ويتوقى أن يعثر بالغلام، وهو يريد موضع ناصر الدولة.

فإلى أن وصل إليه انقلب ناصر الدولة من الجانب الذي كان نائمًا عليه،

إلى الجانب الآخر، وزحف في الفراش، فصار رأسه على الجانب الآخر من المخاد والفراش، وبينه وبين الموضع الذي كان فيه مسافة يسيرة.

وبلغ الركابي إلى الفراش، وهو لا يظن إلا أنه فيه وأنه في مكانه فوجأ الموضع بالسكين بجميع قوته، وعنده أنه قد أثبتها في صدر ناصر الدولة، وتركها في موضعها، وخرج من تحت أطناب الخيمة.

وصار في الوقت إلى عسكر معز الدولة،فوصل إليه، فأخبره أنه قتل ناصر الدولة، وطالب بالجعالة، فاستشرحه كيف صنع، فشرحه.

فقال له: اصبر حتى يرد جواسيسي بصحة الخبر.

فلما كان بعد يومين ورد الجواسيس بأخبار عسكر ناصر الدولة، وما يدل على سلامته وأن إنسانًا أراد أن يغتاله، فكان كيت وكيت، وذكر له خبر السكين.

فأحضر معز الدولة الركابي، وسلمه إلى أبي جعفر محمد بن أحمد الصيمري - الهلالي، فيما سمعت إذ ذاك - وقال له: اكفني أمر هذا الركابي، فإن من تجار على الملوك لم يجز أن آمنه على نفسي.

فغَّرقه الصيمري سرًّا.

***

قتل جميع أسراه إلا واحدًا...

* أُتي الحجاج بقوم ممن خرجوا عليه، فأمر بهم فقتلوا، وأقيمت الصلاة، وقد بقي منهم رجل واحد.

فقال الحجاج لعنبسة: انصرف بهذا معك، واغد به علي.

قال عنبسة: فخرجت به، فلما كان في بعض الطريق، قال لي: هل فيك خير يا فتى؟

قلت: وما ذاك؟

قال إني – والله العظيم – ما خرجت على المسلمين قط ولا استحللت قتالهم، وعندي ودائع وأموال، فتخلِّي عني، حتى آتي أهلي فأرد على كل ذي حق حقه، وأجعل لك عهد الله – عز وجل – أني أرجع إليك من غد.

فتعجبت منه، وتضاحكت.

فمضينا ساعة، فأعاد القول عليَّ، فقلت له: اذهب، فذهب.

فلما توارى عني شخصه، أسقط في يدي، فأتيت أهلي وأخبرتهم الخبر، فقالوا: لقد اجترأت على الحجاج.

وبت بأطول ليلة، فلما طلع الفجر، إذا أنابه قد جاء.

فقلت: أرجعت؟

فقال: سبحان الله، جعلت الله – عز وجل – لك كفيلًا، ثم لا أرجع؟

قال: فانطلقت به إلى الحجاج.

قال: أين أسيرك.

فقلت: بالباب، أصلح الله الأمير، وقد كانت لي وله قصة.

قال: ما هي؟ فأخبرته الخبر، وأدخلته عليه.

فقال: أتحب أن أهبه لك؟

قلت: نعم.

قال: هو لك.

فأخرجته معي، وقلت له: خذ أي طريق شئت، فرفع طرفه إلى السماء، وقال: الحمد لله، وانصرف، وما كلمني بكلمة.

فقلت في نفسي: هذا مجنون.

فلما كان من غد، أتاني، فقال: يا هذا جزاك الله خيرًا، والله ما جهلت

ما صنعت ولكني كرهت أن أشرك في حمد لله – تعالى – أحدًا.

***

أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر...

* كان عيسى بن موسى، يحب زوجته حبًّا شديدًا، فقال لها يومًا: أنت طالق، إن لم تكوني أحسن من القمر.

فنهضت، واحتجبت عنه، وقالت: قد طلقني، فبات بليلة عظيمة.

فلما أصبح غدًا إلى المنصور، وأخبره الخبر، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تم طلاقها تلفت نفسي غمًّا، وكان الموت أحب إليَّ من الحياة.

وظهر للمنصور منه جزع شديد، فأحضر الفقهاء، واستفتاهم، فقال جميع من حضر: قد طلقت، إلا رجل من أصحاب أبي حنيفة، فإنه سكت.

فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين: ١-٤] فلا شيء أحسن من الإنسان.

فقال المنصور، لعيسى بن موسى، قد فرج الله – تعالى – عنك، والأمر كما قال، فأقم على زوجتك.

وراسلها أن أطيعي زوجك، فما طلقت.

***

رأى في المنام أن قد أخرجت من داره اثنتا عشرة جنازة...

* عن معمر بن المثنى، عن علي بن القاسم، قال: حدثني رجل قال:

رأيت في المنام، أيام الطاعون، أنهم أخرجوا من داري اثنتي عشرة جنازة، وأنا وعيالي اثنا عشر نفسًا، فمات عيالي، وبقيت وحدي فاغتممت، وضاق صدري.

فخرجت من الدار ثم رجعت في الغد، فإذا لصٌّ قد دخل ليسرق، فطعن في الدار، فمات وأخرجت منها جنازته.

وسري عني ما كنت فيه، وهب الله العافية والسلامة.

***

الشيخ الخياط وأذانه في غير وقت الأذان....

* قال القاضي التنوخي في كتابه (الفرج بعد الشدة):

حدثني أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، أن شيخًا من التجار كان له على بعض القواد، مال جليل ببغداد، ماطله به، وجحده إياه واستخف به.

قال: فعزمت على التظلم إلى المعتضد، لأني كنت تظلمت إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فلم ينفعني ذلك.

فقال لي بعض إخواني، عليَّ أن آخذ لك المال، ولا تحتاج إلى أن تتظلم إلى الخليفة، قم معي الساعة فقمت معه فجاء بي إلى الخياط في سوق الثلاثاء، يخيط، ويقرئ القرآن في مسجد، فقص عليه قصتي، فقام معنا.

فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي: لقد عرضت هذا الشيخ وإيانا لمكروه عظيم، هذا إذا حصل على باب الرجل صفعه وصفعنا معه، هذا لم يلتفت إلى شفاعة فلان، وفلان، ولم يفكر الوزير، فكيف يفكر في هذا الفقير؟ فضحك وقال: لا عليك، امش واسكت فجئنا إلى باب القائد

فحين رأى غلمانه الخياط أعظموه وأهووا لتقبيل يده، فمنعهم من ذلك وقالوا: ما جاء بك أيها الشيخ فإن صاحبنا راكب فإن كان لك أمر يتم بنا، بادرنا إليه وإلا فادخل واجلس إلى أن يجيء فقويت نفسي بذلك، ودخلنا وجلسنا وجاء القائد، فلما رأى الشيخ أعظمه إعظامًا تامًّا، وقال: لست أنزع ثيابي أو تأمرني بأمرك.

فخاطبه في أمري فقال: والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم تسأله أن يأخذها وأعطيه رهنًا، في باقي ماله.

فبادرت إلى الإصابة فأحضر الدراهم وحليًّا بقيمة الباقي فقضيت ذلك منه وأشهدت عليه الرجل وصديقي أن الرهن عندك إلى أجل، فإن حل الأجل و لم يعطني فقد وكلني في بيعه وقبض مالي من ثمنه فخرجنا وقد أجاب إلى ذلك.

فلما بلغنا مسجد الخياط قلت له: قد رد الله عليَّ هذا المال بسببك فأحب أن تأخذ منه ما أحببت بطيبة من قلبي فقال: ما أسرع ما كافأني على الجميل بالقبيح انصرف بارك الله لك في، مالك، فقلت: قد بقيت لي حاجة.

قال: قل.

قلت: تخبرني عن سبب طاعته لك، مع تهاونه بأكثر أهل الدولة قال: قد بلغت مرادك، فلا تقطعني عن شغلي، وما أُعِد به.

فألححت عليه، فقال: أنا رجل أصلي بالناس في المسجد، وأقرئ القرآن، منذ أربعين سنة، ومعاشي من هذه الخياطة، لا أعرف غيرها وكنت منذ دهر، قد صليت المغرب، وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتُركيٍّ كان في هذه الدار، وامرأة جميلة مجتازة، وقد تعلق بها وهو سكران،

ليدخلها داره، وهي ممتنعة تستغيث، وليس من أحد يغيثها، أو يمنعها منه، وتقول في جملة كلامها: إن زوجي قد قال عليَّ بالطلاق، أن لا أبيت برا، فإن بيتني، خرب بيتي مع ما يرتكبه مني من الفاحشة.

قال: فرفقت به وسألته تركها، فضرب رأسي بدبوس كان في يده، فشجني، ولكمني، وأدخل المرأة بيته.

فصرت إلى منزلي، وغسلت الدم، وشددت الشجة، واسترحت، وخرجت لصلاة العشاء الآخرة.

فلما صلينا، قلت لمن معي في المسجد: قوموا بنا إلى عدو الله، هذا التركي، لننكر عليه، ونبرح أو تخرج المرأة.

فقاموا، وجئنا فضججنا على بابه، فخرج إلينا في عدة غلمان، فأوقع بنا، وقصدني من بين الجماعة، فضربني ضربًا عظيمًا كدت أتلف منه، فحملني الجيران إلى منزلي، كالتالف، فعالجني أهلي ونمت نومًا قليلًا، وقمت نصف الليل، فما حملني النوم، للألم، والفكر في القصة.

فقلت: هذا قد شرب طول ليلته، ولا يعرف الأوقات فلو أذنت، لوقع له أن الفجر قد طلع، وأطلق المرأة، فلحقت بيتها قبل الفجر، فسلمت من أحد المكروهين.

فخرجت إلى المسجد متحاملًا وصعدت المنارة، فأذنت وجلست أطلع منها على الطريق، أترقب خروج المرأة فإن خرجت وإلا أقمت الصلاة، لئلا يشك في الصباح، فيخرجها، فما مضت إلا الساعة، والمرأة عنده، حتى رأيت الشارع قد امتلأ خيلًا ورجالًا ومشاعل، وهم يقولون: من أذن الساعة؟ ففزعت وسكت.

ثم قلت: اخاطبهم، لعلي أستعين بهم على إخراج المرأة، فصحت من

المنارة: أنا أذنت، فقالوا لي: انزل، وأجب أمير المؤمنين.

فقلت: دنا الفرج، فنزلت، فإذا بدر وعدة غلمان، فحملني وأدخلني على المعتضد، فلما رأيته، هبته وارتعت، فسكن مني.

وقال: ما حملك على أن تغر المسلمين بأذانك في غير وقته، فيخرج ذو الحاجة في غير وقتها، ويمسك المريد للصوم، في وقت قد أباح الله له الأكل فيه، وينقطع العس والحرس عن الطواف؟

فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين لأصدقنه.

فقال: أنت آمن.

فقصصت عليه قصة التركي، وأريته آثاره، فقال: يا بدر عليَّ بالغلام الساعة والمرأة، وعزلت في موضع.

فمضى بدر وأحضر الغلام والمرأة، فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ما أخبرته فقال لبدر: بادر بها الساعة إلى زوجها مع ثقة بدخلها داره، ويشرح لزوجها القصة ويأمره عني بالتمسك بها، والإحسان إليها، ثم استعادني، فوقفت بإزائه، فجعل يخاطب الغلام، وأنا واقف أسمع.

فقال له: كم جرايتك؟

قال: كذا وكذا.

قال: كم عطاؤك.

قال: كذا وكذا.

قال: وكم صِلاتك؟

قال: كذا وكذا.

قال: وكم جارية لك؟

قال: كذا وكذا، فذكر عدة جوارٍ.

قال: أفما كان فيهن، وفي النعمة العريضة كفاية عن ارتكاب معصية الله تعالى وخرق هيبة السلطان، حتى استعملت ذلك، وجاوزته إلى الوثوب بمن أمرَك بالمعروف؟

فأسقط الغلام في يده، و لم يحر جوبًا.

فقال: هاتوا جوالقًا، ومداق الجص، وأدخلوه الجوالق، ففعلوا ذلك به.

وقال للفراشين: دقوه، فدقوه، وأنا أسمع صياحه، إلى أن مات.

فأمر به فطرح في دجلة، وتقدم إلى بدر، أن يحمل ما في داره.

ثم قال لي: يا شيخ، أي شيء رأيت من أجناس المنكر، كبيرًا كان أو صغير، أو أي أمر عن لك، فمر به، وأنكر المنكر، ولو هذا - وأوما إلى بدر - فإن جرى عليك شيء، أو لم يقبل، فالعلامة بيننا أن تؤذن في مثل هذا الوقت الذي أذنت فيه، فإني أسمع صوتك، وأستدعيك، وأفعل هذا بمن لا يقبل منك فدعوت له، وانصرفت.

وانتشر الخبر في الأولياء والغلمان، فما خاطبت أحدًا بعدها في إنصاف أحد، أو كف عن قبيح إلا أطاعني كما رأيت، خوفًا من المعتضد وما احتججت إلى الأذان في مثل ذلك الوقت.

***

* قال بعضهم: رأيت أعرابيًّا في بعض أيام الصيف قد جاء إلى نهر، وجعل يغوص في الماء ثم يخرج، وكلما خرج حل عقدة من خيط معه! فقلت: ما شأنك؟ قال: جنابات الشتاء أحصيهن كما ترى، وأقضيهن في الصيف!

* كان أعرابيان يطوفان بالبيت، فقال أحدهما: اللهم هب لي رحمتك واغفر لي، فإنك تجد من تعذبه غير، ولا أجد من يرحمني غيرك.

فقال له صاحبه: أقصد قصد حاجتك ولا تغمز بالناس!

***

* حكي أن امرأة تقدمت إلى قاض، فقال لها: جامعك شهودك كلهم؟ فسكتت، فقال لها كاتبه: القاضي يقول: جاء شهودك معك؟

قالت: نعم، ثم قالت للقاضي: هلا قلت كما قال كاتبك؟ لقد كبر سنك، وذهب عقلك، وعظمت لحيتك فغطت على عقلك، وما رأيت ميتًا تكلم بين الأحياء غيرك!

***

الفهرس